قوت القلوب

في توحيد علام الغيوب

للعلامة الحسن بن خالد الحازمي

ويليه التعليق المطلوب على قوت القلوب

للأستاذ / علي بن محمد أبو زيد الحازمي

دار الشريف

قـــوت القلـــوب
فـــي
توحيد علام الغيوب

للعلاّمـــــة

الحسن بن خالد الحازمي

١١٨٨ - ١٢٣٤هـ

ويليــه

التعليــق المطلوب على قوت القلوب

للأســـتاذ

علي بن محمد أبو زيد الحازمي

قــوت القــلـوب
فــي توحـيـــــد
عــلام الغيــوب

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

ⓒ **دار الشريف للنشر والتوزيع ، ١٤١٧هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحازمي ، الحسن خالد

قوت القلوب في توحيد علام الغيوب تحقيق

علي محمد أبو زيد الحازمي - الرياض.

١٩٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٨ - ٦٤ - ٧٤١ - ٩٩٦٠

١ . التوحيد ٢ . الأدعية والأوراد

أ . الحازمي، علي محمد أبو زيد (محقق) ب . العنوان

ديوي ٢١٢,٩٣ ١٧/٠٧٧٢

رقم الايداع ١٧/٠٧٧٢

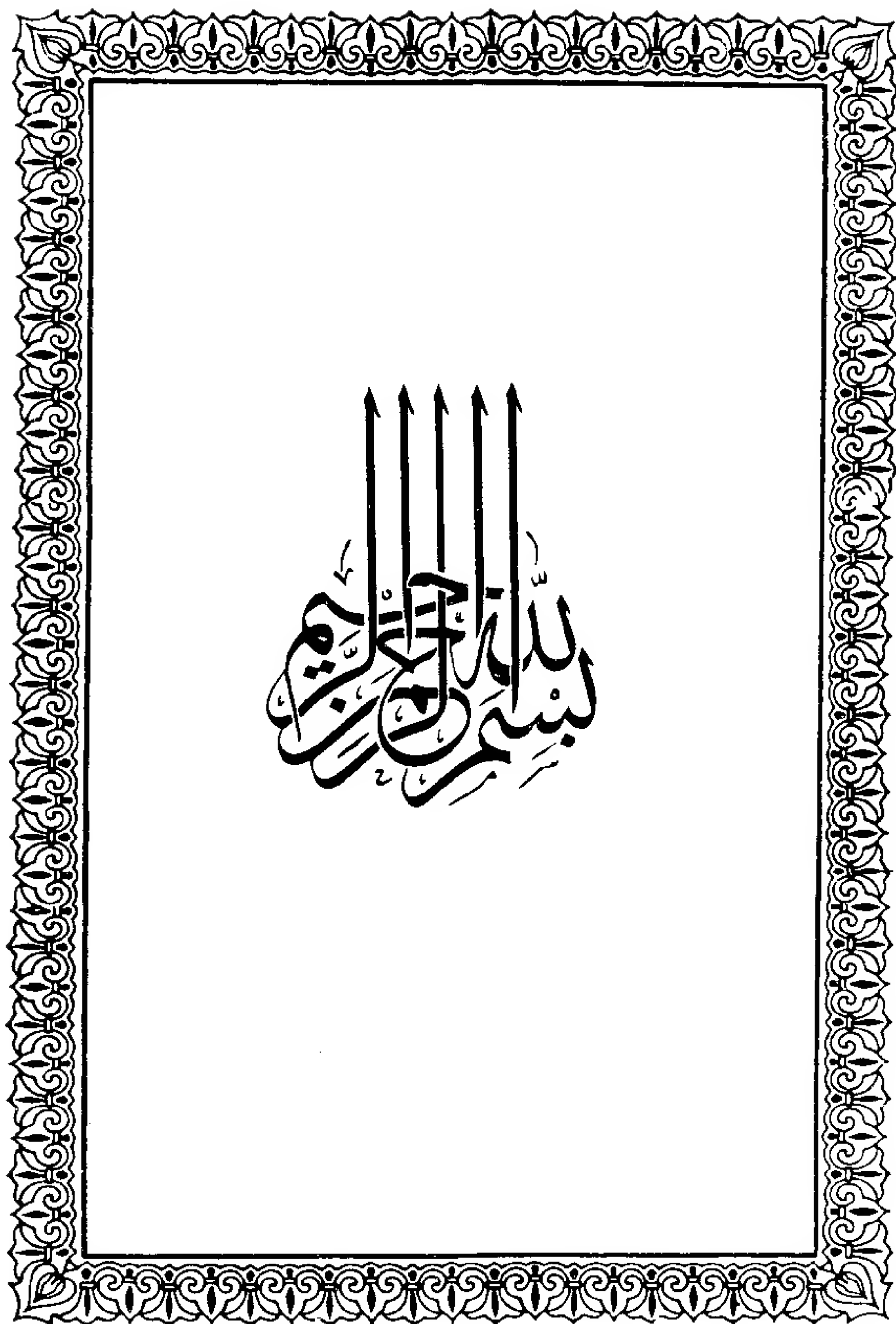
ردمك : ٨ - ٦٤ - ٧٤١ - ٩٩٦٠

دار الشريف للنشر والتوزيع

الريـــاض ١١٥٩٤

ص.ب : ٥٨٢٨٧

هـاتف وفـاكس : ٤٧٣١٤٦١


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

يطيب لي أن أشكر الصديقين الحميمين: الأستاذ الفاضل الشريف/ عبدالرحمن بن الحسين الحسني والأستاذ/ عبده رفاعي على مجهودهما الطيب وما بذلاه من مجهود صادق ومشكور وعمل موفق ولقد حملناهما الكثير من العناء والجهد في سبيل البحث عن مخطوطة (قوت القلوب في توحيد علام الغيوب) للعلامة الشريف الحسن بن خالد الحازمي ذلك الكتاب النفيس فجزاهما الله وافر الجزاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنعوت بجميل الصفات وصلى الله على سيدنا محمد أشرف الأنبياء المبعوث بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وعلى آله وصحبه الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن الدين حتى رفع الله بهم مناره وأعلى كلمته وجعل الإسلام دينه المرضي وطريقه المستقيم.

وبعـــد:

يعد علم التوحيد من أجل العلوم وأفضلها بعد كتاب الله عز وجل حيث أنـه يربط الإنسـان بخـالقه من حيث الوحدانية والطاعة وإفراده بالعبادة دون سواه ويبعده عن الشرك وخرافات الجهل ويعزه عن الذل والمهانة حيث لا أحد غير الله يملك نفعه أو ضره إلا بإذنه تعالى وهو الهدف الأسمى الذي أتفق عليه الرسل جميعا، وممن خدموا العقيدة وتركوا لنا كنوزا ثمينة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله جميعـا فشيخ الإسلام ابن تيمية برز في جميع العلوم وركز على الإهتمـام بالعقيدة حتى مات في سبيلها مجاهدا وألف الكتب الكثيرة التي منهـا «**كتـاب الإيمـان**» و «**منهاج السنة**» و «**الفتوى الحموية**» و «**العقيدة الواسطية**» وغيرها من المؤلفات الكثيرة في العقيدة وأما شيخ الإسلام ابن القيم فقد عرف بمحبته لله وللعلم قراءة وكتابة، فأسهم في التأليف في كثير من علوم الشريعة ومنها العقيدة فله فيها مؤلفات منها:ـ

١ ـ مدارج السالكين.
٢ ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.
٣ ـ الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية، وغير ذلك.

وممن خدموا العقيدة واهتموا بإبرازها للناس شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله الذي إهتم بجميع العلوم وأدلى فيها بسهم وافر واهتم بالعقيدة اهتماما بالغا تدريسا وكتابة وتوجيها له مؤلفات كثيرة في العقيدة منها :ـ

١ ـ كتاب التوحيد.
٢ ـ الأصول الثلاثة.

٣ ـ كشف الشبهات وغيرها من المؤلفات الكثيرة كما برز في العقيدة أيضا أعلام آخرون من أبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيرهم من علماء نجد ولهم مؤلفات في التوحيد وممن لهم إلمام واهتمام بالعقيدة من علماء المخلاف السليماني (جازان) الشيخ العلامة حسين بن مهدي النعمي[1] الصبياني المتوفي سنة **١١٨٧هـ**. له كتاب (معارج الألباب في مناهج الحق والصواب)[2] وله كتاب (مدارج العبور على مفاسد القبور)[3].

---

(١) يرجع في ترجمته إلى كتاب نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف لزبارة ج١ ص٢١٧ص ٢١٨.

(٢) طبع الكتاب في طبعته الأولى بتحقيق محمد حامد الفقي في عام ١٣٧٠هـ وأعيدت طباعته في عام ١٤٠٥هـ بمكتبة المعارف كما طبع مرة أخرى في طبعته الأولى في ١٤٠٨هـ بتحقيق أحمد سعيد الأشهبي إشراف: مقبل الوادعي بدار الأرقم.

(٣) أنظر مصادر الفكر العربي الإسلامي لعبدالله الحبشي ص١٣٨ وكذلك أنظر معارج الألباب للنعمي ص٢٠.

ومنهم العلامة محمد بن ناصر الحازمي[١]أحد رجال الحديث البارزين في القرن الثالث عشر له مؤلفات منها (إيقاظ الوسنان)[٢] وله رسالة في الصفات[٣] وهي جواب لسؤال وجه للشيخ عن عقيدته في أيات الصفات ونحو ذلك وعن عقيدة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وضمن رسالته جل أقوال الأئمة الأعلام وله كتب أخرى في التوحيد[٤] وغيره ومنهم شيخنا العلامة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي الذي يعد من أبرزهم علما وفكرا رغم حداثة سنه له كتب في العقيدة منها سلم الوصول إلى علم الأصول ومعارج القبول شرح سلم الوصول[٥] الذي يعد مرجعا للباحثين في وقتنا الحاضر، وأعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة[٦] والجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة وحاليا الشيخ الزميل زيد بن محمد هادي مدخلي. له كتاب الحياة في ظل العقيدة الإسلامية والشيخ أحمد بن علي حمود له

---

(١) يرجع في ترجمته لنيل الوطر لزبارة ج٢ ص٣٢٢.

(٢) وهي رسالة دافع فيها عن شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب وضمنها الرد على داوود بن سليمان البغدادي في مخالفته الحق وجعل ذلك على مقدمة ومقصدين مخطوطة بجامعة الملك سعود رقم ٥٥٤.

(٣) أنظر قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر تحقيق عاصم القريوتي ص٥٢ طبعت هذه الرسالة قديما في الهند على الحجر وطبعت مرة أخرى في عام ١٤١٥هـ بتحقيق عبدالحميد بن حبيب الله نشاطي.

(٤) له رسالة في المشاجرة بين أهل مكة وأهل نجد توجد هي والرسالة السابقة في خزانة الرباط أنظر الاعلام ج٧ ص١٢٢.

(٥) وقد طبع عدة طبعات.

(٦) طبع عدة طبعات ومن آخرها طباعته محققاً من الشيخ أحمد علي علوش مدخلي مدير معهد صامطه العلمي في رسالة الماجستير.

رياض الجنة في عقيدة أهل السنة وهناك من المشايخ من له باع طويل في التوحيد تدريسا ودعوة كالشيخ محمد أحمد الحكمي والشيخ أحمد بن يحيى النجمي. ومن الكتب التي تناولت هذا الجانب بعمق ودراية فحاز على اهتمامنا الشديد كتاب قوت القلوب في توحيد علام الغيوب للحسن بن خالـد الحـازمي أحد كبار العلماء في القرن الثالث عشر الهجـري وهـذا الإهتمـام دفعني إلى أداء بعض الواجب لهذا السفر الجليل والحرص على إخراجه من عالم النسيان والتناسي إلى عالم النور والظهور باذلا ما أستطيع من جهد أن أضع بعض التعليقات التي كلفتني الجهد والوقت من الرجوع إلى الأصول التي أخذ منها المؤلف رحمه الله طالبا من الله العون والسداد وقد أسميته التعليق المطلوب على كتاب قوت القلوب في توحيد علام الغيوب سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتي والله ولي التوفيق.

علي بن محمد أبو زيد الحازمي

ضـمـد

نبذة عن حياة المؤلف

نسـبه :

هو الحسن بن خالد بن عز الدين بن محسن بن عز الدين الكبير بن محمد بن موسى بن مقدام بن حواس بن مقدام بن علي بن الهمام بن محمد بن الحسن بن حازم بن علي بن عيسى بن حازم بن حمزة بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن القاسم بن داوود بن إبراهيم بن محمـد بن يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه(١).

أسرتـه :

ينتمي إلى سلالة شريفة في النسب والسؤدد يطلق عليهم الحوازمة وفيهم علماء فضلاء ويعد الحسن بن خالد من مفاخر هذا البيت بل من مفاخر أهل الجنوب في علمي الكتاب والسنة(٢) وعلى العموم فهم أهل بيت علم وسيادة. برز في أسرته عدد من العلماء تولى غير واحد منهم وظيفـة القضـاء وغيرها من الوظائف النابهة(٣) وبالرغم مما اعترى هذه الأسرة من القلاقل والفتن إلا أن أفرادها كانوا يتوارثون العلم ويتحلون

---

(١) انظر نيل الوطر ج١ ص٣٢٣ ورسائل الحسن بن خالد الحازمي تحقيق الدكتور عبدالله أبوداهش ص١١ وكذلك أنظر الديباج الخسرواني للحسن بن أحمد عاكش مخطوط ص١٣٤.

(٢) أنظر تاريخ عسير للشيخ هاشم النعمي ص١٦٦.

(٣) أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان لمحمد أحمد العقيلي ص٨٨.

به[١] وقد برز منهم علماء ومعلمون مشاهير تناقلت تراجمهم أمهات الكتب أمثال الأعلام لخير الدين الزركلي ونفح العود للبهكلي ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن للحبشي ونيل الوطر لزبارة ونزهة النظر لزبارة وأضواء على الأدب والأدباء للعقيلي ، أما المخطوطات التي ترجمة لكثير منهم فمنها عقود الدرر لعاكش وحدائق الزهر[٢] والديباج الخسرواني لعاكش والجواهر اللطاف للقبي وغيرها .

نشأته وحياته

ولد ببلدة هجرة ضمد عام ثمان وثمانين ومائة بعد الألف من الهجرة ونشأ على الطاعة والعبادة والإشتغال بالعلم .

أخذ العلم عن الشيخ / أحمد بن عبدالله بن عبدالعزيز الضمدي وأخذ يسيرا عن غيره ونال في مدة وجيزة حظا وافرا من العلم ولذا كان يخصه أحمد بن عبدالله برعايته وتوجيهاته حينما عرف ألمعيته فاستفاد في المدة القصيرة ما لم يستفده غيره[٣] .

---

(١) من رسائل الحازمي تحقيق الدكتور عبدالله أبوداهش ص١٤ .

(٢) نبذة عن التعليم في تهامة وعسير للأستاذ حجاب الحازمي ص٦٠ .

(٣) أضواء على أدب الأدباء في منطقة جازان للأستاذ محمد بن أحمد العقيلي ج١ ص٨٨ مع بعض التصرف في التعبير.

فبـرع في علوم التفسير والحـديث وغيرهـا من العلوم الشرعية كما اشتغل بعلمي النحو والصرف وفي آخر أمره جعل همه الإشتغال بعلمي الكتاب والسنة والعمل بما قام عليه الدليل والميل عما اختاره العلماء من الأقاويل وجزم بتحريم التقليد وله في ذلك رسالة قرر فيها أنه يسع الناس في هذه الأزمنة ما وسع الصحابة من أخذ الحكم من دليله للمتأهل وأن العامي وظيفته السؤال كما كان في عصر خير القرون[1] ولقد كانت له حلقـة كبيرة يؤمهـا الـدارسـون وطلبـة العلم من أنحـاء المخـلاف السليمـاني[2] كما كان يحضرها عدد كبير من الأعلام البارزين، ولقد تخرج من هذه الحلقة عدد كبير من أهل تهامة وغيرهم من أهل عسير ونجد واليمن.

والعـلامـة الحسن بن خالـد ترجم له غير واحد فقد ذكره صاحب الاعلام وترجمه صاحب نيل الوطر والعلامة عمر رضا كحالة كما ترجم له عاكش في مؤلفـاته الديباج الخسرواني وحدائق الزهر وعقود الدرر وترجمه البهكلي في نفح العود وترجم له أخيرا محمد بن أحمد العقيلي في كتابيه: الأضواء والمخلاف السليماني مفيدا من المصادر السابقة كما ترجم له أيضا محمد بن بهجت البيطار في كتابه حلية البشر في تراجم رجال القرن الثالث عشر ومحمد حيدر القبي في كتابه الجواهر اللطاف وترجم له حاليا الدكتور عبدالله محمد حسين أبوداهش ترجمة وافية في مقـدمـة تحقيقه لرسائل الحازمي كما ترجم له أيضا العلامة

(١) نيل الوطر لزبارة ج١ ص ٣٢٤.

(٢) من رسائل الوزير الحسن بن خالد تحقيق الدكتور أبوداهش ص٢٢.

محمد بن علي الشوكاني في كتابه البدر الطالع والدكتور عمر الطيب في تاريخ الأدب العربي السعودي وغيرهم وقد أثنى عليه هؤلاء وغيرهم ثناء جميلا فيقول الزركلي في كتابه الاعلام فهو فقيه مجتهد من سلالة أسرة حسنية تدعى الحوازمة برع في التفسير والحديث وحرم التقليد وشهد على ما ينيف على عشرين وقعة وآلت إليه إمارة عسير فقام بها عشرين شهـرا[١] ويقول زبارة أنه اربى في تحقيقه على الاقران وسارت بذكره الركبان وبرع في علم التفسير والفقه والحديث[٢] ويقول العلامة الحسن بن أحمـد عاكش إن في أيامـه عمـرت بالعلوم المدارس وانتعش من المعـارف كل دارس وأسـدى إلى العلمـاء من أهـل وقتـه أنـواعا من الإنعامات وأمرهم بنشر العلم في كل الأوقات وصارت جهاتنا منهل وارد وبغية قاصـد[٣] وقـال أيضـا هو بالحق ناطق ناصر الإسلام والمجاهد بنفسـه[٤] ويقـول العقيلي هو شخصية من الشخصيات العـربية النبيلة جمعت بين مجد السيف والقلم وقرنت بين فضل العلم ومجد العمل[٥] ويقول القبي هو من أهل الإجتهاد المطلق والمدح فيه وإن تطاول قاصر[٦].

ويقول العلامة الشوكاني وكان المتكلم في دولة الشريف حمود وولده الشـريف حسن بن خالـد الحازمي وكان من أهل العلم فكان يتوقف الشـريف حمود وولده من بعده في الأمور الشرعية وفي جميع الأمور

(١) انظر الأعلام لخير الدين الزركلي ج٢ ص١٨٩.
(٢) انظر نيل الوطر لمحمد بن محمد زبارة ج١ ص٣٢٣.
(٣) حدائق الزهر للحسن بن أحمد عاكش ص٦٩.
(٤) المرجع السابق ص٦١.
(٥) أضواء على الأدب والأدباء بمنطقة جازان محمد بن أحمد العقيلي ص٨٦.
(٦) الجواهر اللطاف للقبي ص١٦٣.

الـدولية على رأيه ولا يرد له قول[١] ويقول الدكتور عبدالله أبوداهش: «للحسن بن خالد منزلة عظيمة فهو عالم وفارس صاحب رأي ومكانة اجتماعية رفيعة[٢] ويقول العلامة عبدالرزاق البيطار في كتاب حلية البشر هو عالم كبير وفاضل شهير[٣].

ويقول أيضا بأن الحازمي حمل الناس على العمل بالسنة ومنعهم عن التدريس في فقه المذاهب بأسرها[٤] وقال عاكش أيضا طار صيته في جميع الأقطار وصار خبر علمه وعدله حيث صار الليل والنهار إلى غير ذلك[٥].

أعمالــه

١ ـ اختاره الشريف حمود بن محمد وزيرا لدولته لمكانته العلمية ونقابة رأيه فضلاً عن فروسيته وحنكته فكان لا يصدر له قول ولا رأي في جميع الأمور الشرعية والدولية إلا برأيه ومشورته[٦].

٢ ـ وكان القائد البارز في دولته وزاد من قوة نفوذها وامتداد أطرافها بعدما مد يد الولاء مع نخبة من أقطاب المخلاف للدولة السعودية الأولى

---

(١) البدر الطالع للشوكاني ج٢ ص٣٧١.
(٢) الدكتور عبدالله أبوداهش رسائل الحازمي ص٣٤.
(٣) حلية البشر ج١ ص٤٨٥.
(٤) المرجع السابق ج١ ص٤٨٥.
(٥) الحسن بن أحمد عاكش حدائق الزهر ص٦٢ تحقيق الدكتور البشري.
(٦) من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي للدكتور عبدالله أبوداهش ص٤١.

في عهـد مليكها سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود المولود سنة ١١٦١هـ وتولى الحكم سنة ١٢١٨هـ وتوفي سنة ١٢٢٩هـ.

٣ـ في عهد الأمير عبدالله بن سعود بعد وفاة الشريف حمود تولى بعض الأعمال القيادية للأمير عبدالله بن سعود في جهة عسير[١].

٤ـ **إمارتـه:** تولى إمـارة عسير نحوا من عشرين شهرا. وقيل دامت إمارته ثمانية أشهر[٢].

٥ـ **وقائعه:** اشترك في كثير من المعارك وشهد ما ينيف على عشرين وقعة وحالفه النصر في جميعها. قال الحسن بن أحمد عاكش بعد ذكر وقائعه وهو مع ذلك مؤيد بالنصر والظفر إلى أن قتل شهيدا[٣].

٦ـ **حلقته التعليمية:** له حلقة تعليمية يؤمها الدارسون وطلاب العلم من كل مكان وقد تخرج في هذه الحلقة عدد من العلماء منهم الحسن بن أحمد عاكش ويحيى بن محمد القطبي[٤] كما أخذ عنه بعض أعلام عسير وممن أخـذ عنـه في حلقـة أخـرى سليمان بن عبدالله بن الشيخ بن محمد بن عبدالوهاب فقد ذكر البسام أنه أطلع على إجازة للشيخ الإمام سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب التميمي النجدي من الشيخ الإمام الحسن بن خالـد الشريف الحسني الحازمي أجازه أن يروي عنه دواوين الإسلام الستة صحيح البخاري وصحيح مسلم وبقية الأمهات[٥].

---

(١) أنظر رسالته للأمير عبدالله بن سعود من رسائل الحسن بن خالد الحازمي ص٩١.

(٢) تاريخ عسير لهاشم النعمي ص١٦٦.

(٣) الحسن بن أحمد عاكش حدائق الزهر تحقيق الدكتور اسماعيل البشري ص٦٢.

(٤) الحسن بن أحمد عاكش عقود الدرر ص٦٩.

(٥) علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبدالله البسام ج١ ص٢٩٤.

مؤلفاته

له مؤلفات عديدة منها:

١ ـ شرح على أرجوزة محمد بن سعيد سفر في ذم التعصب والإبتداع وقد سمى هذا الشرح نثر الدرر[١].

٢ ـ قوت القلوب في توحيد علام الغيوب[٢] وقد قرضه جماعة منهم الشيخ محمد بن أحمد الحفظي ومن ذلك التقريض:ـ

وذا قوت القلوب فخذ قواما تقوم بأخذه واشرب رحيقه
مؤلف أوحد العلماء حقا وخدن السنة الغرا الوثيقة[٣]

٣ ـ شرح على منظومة عمدة الأحكام لعبدالله بن محمد الأمير.[٤]

٤ ـ رسالة في وجوب هدم المشاهد والأضرحة والقباب[٥].

٥ ـ رسالة في حكم الجهر بالبسملة والإسرار طبعت بنادي جيزان الأدبي.

---

(١) حدائق الزهر الحسن بن أحمد عاكش ص٦٣.

(٢) المرجع السابق ص٦٣ وتوجد منه نسخة بمكتبة الأوقاف بصنعاء، وأخرى بأبها بمكتبة الحسن بن علي الحفظي.

(٣) الدكتور عبدالله أبوداهش من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي ص٣١.

(٤) حدائق الزهر للحسن بن أحمد عاكش ص(٦٢).

(٥) محمد بن أحمد العقيلي الحسن بن خالد الحازمي مجله العرب عدد رمضان وشوال عام ١٣٩٤هـ.

٦ ـ رسالة في ذم التقليد.

٧ ـ مكـاتبـات أدبية وأشعار طبع جزء من مكاتباته النثرية بتحقيق وتقديم الدكتور عبدالله بن محمد بن حسين أبوداهش بعنوان (من رسائل الوزير الحسن بن خالد).

٨ ـ تعليقـات له على الفتـح مثبته بالنسخة المخطوطة توجد لدى الشيخ محمد أحمد المهدي الحازمي ضمن مكتبته المخطوطة في ضمد.

شعـــره

للمتـرجم له أهبة الإقتدار على نظم الشعر وقرضه فقد قال قصائد رائعـة وقـال الشعـر في معـظم أغـراضـه كالمدح والرثاء والإخوانيات والقصائد الدينية فمن شعره في المدح مدحه للشريف حمود أبومسمار هذه القصيدة التي مطلعها:

هل الـروض معمـور بأسنى الـمـطالـب　　　وهـل زرت سلعـا في بدور صواحـب

إلى أن يقول:

حليـم يفـيـد الـوافـديـن نو الـه　　　ويـكسي جسـوم الـوفـد بيض الـرغـائب
مضـاهـي ليـوث الـغـاب من غيـر رهبـة　　　إذا خاف أسـد الـغـاب من سيف ضارب
وأشـبـه بالـبـحـر الـعـظيـم نهـولـه　　　ولـكـنـه لا يعـتـلـي بالـمـراكـب
دنـا من جمـيـل الـقـول في كل موطـن　　　بفـعـل الـمـواضي وارتـفـاع الـمكـاسب

والقصيدة طويلة أوردها المؤرخ زبارة[1].

ومن شعره في الرثاء تلك القصيدة الرائعة التي رثى بها ابن عمه محمد بن حسين الحازمي ووالده الحسين بن حسن بن عز الدين الحازمي ونفرا من أهالي بلدته حينما أدركهم الموت وهم عائدون من مكة المكرمة بعد إتمام الحج ومنها:ـ

هذه الدار غفلة وغرور ... دار بلوى بكل كرب تضرك
يا فؤادي لا تخدعنك الأماني ... فالأماني إلى البلايا تجرك
واعتبر ناظرا لكل خليل ... سار منها وكان ممن يسرك
فلقد بت فاقدا لكرام ... من أخ في الورى به شد أزرك
عد منهم محمدا وحسينا ... ورجالا مضوا لهم فل صبرك
كان من قد ذكرت رأسا لخير ... فبموت الخيار قد مل صدرك
فعلى من ذكرت طال وقوفي ... حائرا في الثرى أقوم وأبرك
غير أن الرضا بما قد قضاه ... ربنا واجب فذا الأمر أمرك
فله الأمر والتصرف فيما ... نفعه عائد وبؤس يضرك
ليس لي ملجأ سواه في كل خطب ... وإليه في كل أمر مفرك

ومنها:

فله الحمد والثناء كثيرا ... جاريا في سكوننا والتحرك
وله المنع والعطا باقتدار ... يقتضي حكمه وإن حار فكرك
سلم الأمر واسأل الله عفوا ... وسماحا لهم ليجلو أمرك

---

(١) انظر نيل الوطر ج١ ص٣٢٥.

وتدارك ما قد مضى من ذنوب بصلاح لعله يمح وزرك
طالما قد سبحت في بحر جهل وتظن الهلاك إن هاج بحرك

والقصيدة طويلة(١).

المدائح التي قيلت فيه

نظرا لما للمذكور من مكانة علمية وأدبية واجتماعية ودور سياسي قيادي وشخصية مؤثرة وتقدير للعلم والعلماء فقد أثنى عليه بعض العلماء ومدحه العديد منهم بقصائد كثيرة أجاب على كثير منها فممن مدحه العلامة أحمد بن محمد النعمي على طريقة التشجير منها:ـ

المجد طعن قناً وضرب حسام لا صوت مطربةٍ وشربُ مدامِ
لو أن بالتسويف كان مناله بلغ الثعالب رتبة الضرغامِ
شمس الظهيرة لا يقوم مقامها نجم خفيٌ في دجى الإظلامِ
رح واغد واسع وجد في طلب العلا واهجر لذيذ مطعم ومنامِ
يجد المكارم كل من هجر الكرى وسعى كسعى مؤيد الإسلامِ
فلقد سما رتباً وحاز مفاخراً وحوى من العلياءِ كل مرامِ
حاز العلوم دقيقها وجليلها فيما أتى من واجب وحرامِ
سل عنه مشكلها وكل دقيقةٍ دقت على الأفكار والأفهامِ
نسخت دياجيها بدور براعةٍ فبدت وليس لثامها بلثامي
أعني المعيد المجد حياً بعدما واراه تحت الترب خير محامِ

(١) من قصيدة إستنسختها من مكتبة آل عاكش عام ١٣٨٠هـ تقريباً.

ومنهـــا:

نال الـمـفـاخـر كابـراً عن كابـر إرثـا عن الأبـاء والأعـمـام
خريـت سنَّـةَ جده ودلـيـلهـا ومـنـارهـا الـمـغـنـي عن الأعـلام
الـسـابـق الـسـامـي على أقـرانـه في كـل منـزلـة وكـل مقـام[1]

ومدحه أيضا بقصيدة منها:ـ

هو الـحـسـن الـبـدر الإمـام بن خالـد حليـف الـمـعـالـي والـنـدى والـمـواهـب
هو الـزاخـر الـتـيـار علمـا ونـائـلا هو الـجـبـل الـراسي غداة الـمـقـانـب
هو الـسـابـق الـسـامـي إلى كل رتبـة يقـصـر عن إدراكـهـا كل طالـب
هو الـنـاصـر الهـادي إلى دين أحـمـد فيـالـيـث مردي خصـمـه والـكـتـائـب
يجـلي بمـيـدان الـطروس يراعـه وصـارمـه يوم الـوغـى في الـتـرائـب
فإن قال أعـيـا قولـه كل طالـب وإن صال أردى كل ليـث مغـالـب
كريـم لديـه أجـود الـنـاس ما در وأضـربـهـم يوم الـوغـى غيـر ضارب
لقـد حاز أنـواع الـمـعـالـي بأسـرهـا وزاحـم أفـلاك الـسـمـا بالـمـنـاكـب
أقـام عمـود الـديـن بعـد إعـوجـاجـه وشـيـد من بنـيـانـه كل خارب
وسـاق إلـى أعـدائـه كل نقـمـة بهـا شربـوا حقـا وبـي الـمـشـارب
ليـهـنـك بابـن الشـوس نيـل مفـاخـر وإدراك مجـد لم ينـل ومـنـاقـب
فقـل للذي يبـغـي معـالـيـه جاهـدا دويـن معـالـيـه مقـام الـكـواكـب
له الـعـلـم إرثـا من أبـيـه وجـده على وطـه خيـر ماش وراكـب
وعـزم وحـزم في الأمـور وهـمـة ورأى يجـل الـمـشـكـلات الـغـيـاهـب[2]

---

(١) انظر نيل الوطر لزبارة ج١ ص٣٢٦.

(٢) المصدر السابق ج١ ص٣٣٢، ٣٣٣.

ومدحه الأديب محمد المساوى الأهدل بقصيدة منها:ـ

غريمك في تغنيك الغرام	فلا حرج عليك ولا ملام
وشم برق الغوير له ابتسام	من الدهناء إذا جن الظلام
فإن مكرر اللمعان يدري	إشارته الكتيب المستهام
ومما بي من الأشجان ورقا	على غصن يطارحها الحمام
حمام الواديين بذات طلح	دهورا لا ينيم ولا ينام
وما بالأجر عين من الروابي	مراقيه ومنبره البشام
يذكرني السوالف من ليال	كطيف الحلم شخصه المنام
وألفا قد أنيط به هيام	فلما أن نأى زاد الهيام

ومنها:ـ

ولكني زخرت مطي عزمي	إلى الحسن بن خالد والسلام
فتى علامة الدنيا جميعا	وفارسها إذا انحسر اللثام
فكم لك في الوقائع من قضايا	تنتجها إذا اشتد الزحام
ومن نقط حروف مهملات	بخطي فيشكلها الحسام
من النفر الذين لهم عهود	من المختار تحمله الذمام
أما قال الرسول ألا احفظوني	فحينئذ لحاسده الرغام
إليك خريدة جرت ذيولا	ومنطقها على الجوزا حرام
فقيه بان قائلها شريف	له نسب وأباء كرام
ومن تهدى لحضرته شريف	وفذ جهبذ حبر همام
فسترا يابن بنت الطهر سترا	عليها إن معناها التمام[1]

---

(١) الديباج الخسرواني للحسن بن أحمد عاكش مخطوط ص١٢٨.

كمـا مدحـه الشيخ يحيى بن محمـد القطبي ومدح حلقته العلمية بقصيدة منها[١]

أيـا ولـدا قد صرت لي والـدا   ولا عجـب أن يشـيـخ الـولـيـد
لعـلم الـصـغـيـر وجـهـل الـكبيـر   فيـنـحط هذا وهـذا يشـيـد

ومنهـــا:

أحـب حضوري في مجلـس   به الـدرس علي به أسـتـفـيـد
وتـسـمـع أذني عبـاراتـكـم   عسـى أن يعـيـهـن ذهـنـي الـبـلـيـد
فقـل كيـف قصـرت في ذا الـمـرام   تركـت وغـصـنـك رطـب يمـيـد
فأصبـحـت قد عوج الـعـود منـك   فهـا هو على الـغـمـز قاس شديـد
إذا رمـت بالـغـمـز تقـويـمـه   كسـرت وإن تـتـركـنـه يعـود

وفـاتـــه

كانت وفـاتـه في ليلة الخميس الثـالـث والعشـرين من شعبان سنة ١٢٣٤هـ في موضع يقال له «شكر» من جبال السراة عن ست وأربعين سنة من مولده، وقيل وفاته سنة ١٢٣٥هـ[٢] وكانت وفاته شهيدا من جنود الأتراك بعد حروب طائلة فاز فيها بالنصر ومما قيل في مقتله:

(١) من رسائل الوزير حسن بن خالد الحازمي. تحقيق الدكتور أبوداهش صفحة ٢٤.

(٢) ويرجح القول بأن وفاته في عام ١٢٣٤هـ لإجماع مؤرخي المنطقة على ذلك.

جاء الـسـراة فدان الـعـالـمـون بهـا ... لمـا يقـول لهـم في الـورد والـصـدر
وقـام فـيـهـم بأمـر الله محـتـسـبـا ... بالـعـرف يأمـر ينـهـاهـم عن الـنـكـر
ثم اسـتـقـر على ذا الـحـال آونـة ... وبـعـدهـا جاءه جيش من الـتـتـر
فقـام بالـسـيـف يرديـهـم ويـهـزمـهـم ... أذاقـهـم بعـد صافـي الـمـاء بالـكـدر
لكـنـه بعـد هذا الـحـال صادفـه ... من الـمـنـيـة محـتـوم من الـقـدر
فكـان مقـتـله في وقـعـة حصـلت ... في شهـر شعـبـان تحـقـيـقـا بلا نكـر
وكـان مشـهـده في تربـة شرفـت ... على الـبـقـاع وكـان الـقـبـر في شكـر
وكـان ما كان ممـا لسـت أذكـره ... فكـان لبـيـبـا ولا تسـأل عن الـخـبـر[1]

التعريف بالكتاب

اسمه «قوت القلوب في توحيد علام الغيوب» كما هو مثبت بالنسخة الأصلية التي اعتمدنا عليها في التحقيق وفي بعض مؤلفات عاكش وغيرها ورد اسمه قوت القلوب بمنفعة توحيد علام الغيوب[2] ويعد هذا الكتاب من أهم كتب المؤلف رحمه الله بل ويعد من أهم كتب التوحيد في المنطقة والكتاب يناقش قضايا وجوانب مهمة من توحيد الألوهية وبيان أدلة التوحيد وانكار ما عليه غالب الناس من الإعتقادات المنافية للتوحيد.

---

(١) نيل الوطر ج١ ص٣٢٧.

(٢) وورد اسمه منفعة قوت القلوب ينظر تاريخ عسير لمحمد عبدالله آل زلفة ص١٢٤.

بدأ المصنف كتابه بالفاتحة لإشتمالها على أنواع التوحيد الثلاثة ولإفتتاح المصلي بها وافتتاح القرآن الكريم بها ثم تحدث عن أفراد العبادة لله وشروط لا إله إلا الله واستطرد الكثير من أبواب التوحيد كحكم من عبد غير الله وحكم التبرك بالاشجار والأحجار وحكم عبادة القبور والحلف بغير الله وغيرها من أبواب النوحيد إلا أنه لم يضع عناوين لكل باب من أبواب التوحيد لذا تكررت عليه بعض أبواب التوحيد وفيما يبدو أن هذه النسخة كانت هي مسودة البحث.

واعتمد في كتابه هذا على بعض كتب الإعلام كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ محمد بن عبدالوهاب والشيخ محمد ابن اسماعيل الأمير رحمهم الله وغيرها من كتب السنن والتفسير والسير.

وقد إعتمدنا في تحقيق الكتاب على نسخة خطية بمكتبة الأوقاف بالجامع الكبير بصنعاء.

وهناك نسخة أخرى بأبها بمكتبة الحسن بن علي الحفظي تعذر الحصول عليها في الحال.

وصـف المخـطـوطـة

كتبت بخط جميل وواضح إلّا أن هناك عليه بعض الملاحظات

١ ـ كثرة الأخطاء الإملائية والنحوية وقد عدلنا ذلك.

٢ ـ عدم العناية بالنقط في المواضع التي تحتاج إلى نقط وإعطاء النقط في غير محله كالدال مثلاً كقوله (من دبيب النمل. ذبيب النمل)

٣ ـ إبدال الهمزة ياء في معظم المواطن مثل كائن يكتبه كأين بالياء.

وعلى العموم فهو جرىٰ على طريقة الخط القديم والرسم العثماني في معظم الكتاب.

عملي في المخطوطة

١ ـ قمت بتخريج الآيات القرآنية.

٢ ـ قمت بتخريج الأحاديث النبوية والآثار.

٣ ـ قمت بتخريج الأمثال والأقوال.

٤ ـ الكتاب لا يخلو من أخطاء إملائية ونحوية وعدم الإعجام وهذا فيما يبدو من عمل النساخ لذلك قمت بتصحيح العبارة وحرصت على سلامة الكتاب من الاخطاء قدر الإمكان وهذه بعض الأخطاء التي اكتفي بالاشارة إليها هنا مثل.

١ ـ به في الأصل بهم   مشركي ... مشرك

٢ ـ الفصل في الأصل الفضل   التعظيم ... التذلل

٣ ـ سموا   سمعوا

٤ ـ معتقداتهم   إعتقاداتهم

٥ ـ التذلل   التذليل

٦ ـ أنصاف   نصف

٧ ـ يشفعون   يشفون

وهناك أخطاء غير هذه أشرت إليها في مواضعها من المخطوط والله الموفق.

٥ ـ هذا بالإضافة إلى بعض التعاليق المهمة المتعلقة بالموضوع.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين اياك نعبد
واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ...
تضمنت هذه السورة الالوهية والربوبية واثبات
... الصراط المستقيم الذي هو طريق
الرسل واشتملت على ثلثة اسماء من اسماء الله التي
مرجع الاسماء الحسنى وهي الله والرب والرحمن فكونه
الله يتضمن تعريفهم الوجه الذي يعبد وتبيان حقه
عليهم لان الاله المالوه اي المعبود ولا سبيل الى
كيفية عبادته الا من طريق رسله وكونه ربا لل...

صورة من المخطوطة الصفحة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينْ الرَحْمَنْ الرَحِيْم مَالِكِ يَوْم الدِّيْن إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين اهْدِنَا الصِرَاط المُسْتَقِيم صِراط الذينَ انْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر المغضُوبِ عَلْهِمْ ولا الضالِينْ﴾ . آمين. صدق الله العظيم.

تضمنت هذه السورة الألوهية[١] والربوبية[٢] وإثبات المعاد[٣] والأسماء والصفات والدعاء إلى الصراط المستقيم[٤] الذي هو طريق الرسل واشتملت على ثلاثة[٥] أسماء من أسماء الله إليها مرجع الأسماء الحسنى وهي الله[٦] والرب[٧] والرحمن[٨] فيتضمن لفظ الجلالة تعريفهم الإله الذي يعبدونه ببيان حقه عليهم لأنه الإله المألوه أي المعبود[٩]

(١) افتتح المؤلف بسورة الفاتحة لاشتمالها على جميع أنواع التوحيد أي توحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة ويؤخذ من قوله ﴿الله﴾ ومن قوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

(٢) أي توحيد الربوبية وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه وأنه المحيي المميت النافع الضار المنفرد بإجابة الدعاء وهذا التوحيد الذي أقر به الكفار (تيسير العزيز الحميد ص(٣٣) ويؤخذ من قوله ﴿رب العالمين﴾ وكذلك أيضا تضمنت السورة توحيد الأسماء والصفات وهو إثبات صفة الكمال لله تعالى كما أثبتها لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ويدل على ذلك قوله ﴿الرحمن الرحيم﴾.

(٣) يوم المعاد يؤخذ من قوله تعالى ﴿يوم الدين﴾ ومن لازم الإيمان بهذا اليوم الاستعداد والتأهب له قبل مجيئه والمبادرة بالعمل الصالح والسعي النافع قبل دهوم البلاء وهو من أهم الأمور التي تحمل الإنسان على الإكثار من العمل الصالح.

(٤) الدعاء إلى الصراط المستقيم يؤخذ من قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ والمراد به الطريق الواضح الموصل للحق وذلك بلزوم دين الإسلام وترك ما سواه من الأديان فهذا الدعاء من أجل الأدعية وأنفعها.

(٥) في الأصل ثلثة وقد نهج كاتب النسخة في كاملها بالرسم العثماني.

(٦) الله هو الإله المعبود فهذا الاسم أحق بالعبادة ولهذا يقال الله أكبر الحمد لله، سبحان الله، لا إله إلا الله (كتاب التوحيد لشيخ الإسلام ابن تيمية ص١٠٤).

(٧) الرب هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادي وهذا الاسم أحق باسم الإستغاثة والمسألة ولهذا يقال: «رب اغفر لي ولوالدي ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» (كتاب التوحيد لابن تيمية ص١٠٤).

(٨) الرحمن اسم دال على أنه ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء وعمت كل حي انتهي (تفسير السعدي ج١ ص١٤).

(٩) أي المعبود على سبيل المحبة والإجلال والإكرام انتهى (كتاب التوحيد لابن تيمية ص٧٣).

ولا سبيل إلى معرفة كيفية عبادته[١] إلا من طريق رسله (. . . . .)[٢].

والله سبحانه لا يتركنا هملا كما يقتضي إرسال الرسل[٣] وإنزال الكتب المقتضية حياة قلب من يريد الله أن يهديه فرحمته لعباده بإرسال الرسل وإنزال الكتب أجل وأعظم من رحمته لهم بإنزال الغيث وإنبات الكلأ وإخراج الحب لأن ما يكون به حياة القلوب أعظم من الذي يكون به من حياة الأبـدان[٤] فمبنى هذه السـورة على إثبـات الألوهية والربوبية والرحمة و ﴿**إياك نعبد**﴾ مبنى على الألوهية لأن الألوهية تتضمن توحيد العبادة فالإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإنابة وتعظيما وذلا وخضوعا وخـوفـا ورجاء وتوكلا فلا يعبد إلا هو[٥] ﴿**وإياك نستعين**﴾ مبنى على الربوبية لأن معنى الرب المتصرف في ملكوت السماوات والأرض فهو الذي يربي عباده[٦] فيهديهم إلى مصالح نفوسهم فلا يستعان إلا به[٧] وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم مبنى على الألوهية والربوبية فهو

(١) في الأصل عبادة ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) هناك عبارة استبعدناها لوقوع سقط فيها يؤدي إلى خلل في المعنى المقصود.

(٣) اقتضت كلمة اللطيف الخبير ألا يهمل خلقه بل أرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين فيجب الإيمان بمن سمي في كتابه من الرسل على التفصيل والإجمال والإيمان جملة بأن لله رسلا غيرهم وأنبياء لا يحصي عددهم إلا الله تعالى قال تعالى: ﴿ورسلا قد قصصناهم عليك من قبـل ورسـلا لم نقصصهم عليك﴾ غافـر (الكواشف الجلية للسلمان ص٦٦ الطحاوية ج١ ص٦١ تحقيق التركي والأرناؤط.

(٤) وإذا كان غذاء الجسم ضروريا ومن أولويات الحياة فإن غذاء الروح أشد ضرورة وأدعى إلى الإهتمام به والسعي في طلبه لأنه إذا لم يتوفر هذا الغذاء حصل الخواء النفسي وهبوط البشر إلى مستوى الحيوانات والجمادات انتهى (غذاء الروح ص٣ الشيخ عبدالعزيز المسند).

(٥) هذا تعريف توحيد الألوهية ومعناه إخلاص العبادة لله وحده.

(٦) في الأصل عبده ولعل الصواب ما أثبتناه

(٧) في الأصل إلا هو ولعل الصواب ما أثبتناه.

إلههم وربهم ورازقهم وراحمهم ولأجل ذلك عرفهم وجه عبادته وهداهم إلى[(١)] الصراط المستقيم ورحمهم بما أرسل إليهم من الرسل وأنزل من الكتب[(٢)] فدين الله كله عبادة واستعانة فهو يرجع إلى ﴿**إياك نعبده وإياك نستعين**﴾ فعبـادة الله غاية مراد عبـاده المؤمنين وطلبهم منه تعالى أن يعينهم عليهـا والعبـادة تجمـع غاية الحب وغـاية الذل والخضوع لله تعالى[(٣)] والاستعانة هي الثقة بالله والاعتماد عليه وهي معنى التوكل[(٤)] على الله.

ولا تكون الإستعانة إلا بالله وقد نزل الله سبحانه العبادة والتوكل على الله الذي هو معنى الاستعانة بالله في عدة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿**فاعبده وتوكل عليه**﴾[(٥)] وكقوله تعالى حاكيا عن شعيب عليه السلام ﴿**وما توفيقي إلا بالله**[(٦)] **عليه توكلت وإليه أنيب**﴾.

والإنابة هي العبادة كقوله تعالى ﴿**وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذَالِكُم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب**﴾[(٧)] وكقوله تعالى حاكيا عن خليله إبراهيم عليه السلام ومن معه: ﴿**ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليـك المصيـر**﴾[(٨)] وكقـولـه تعالى: ﴿**قل هو الرحمن آمنا به وعلينا توكلنا**﴾[(٩)] والإيمان يشمل العبادة وكقوله تعالى ﴿**واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا**﴾[(١٠)]والتبتل

(١) الصراط الطريق المستقيم الذي لا أعوجاج فيه والمراد ما جاء به الأنبياء من التوحيد.
(٢) يجب الإيمان بجميع الكتب المنزلة على رسله عامة لقوله تعالى ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم واسماعيل وإسحاق﴾ الآية..
(٣) في الأصل إلا الله وقد حذفنا إلّا لإستقامة المعنى.
(٤) فلا يتوكل على غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله تيسير العزيز الحميد ص٤٩٧.
(٥) الآية رقم ١٢٣ من سورة هود.
(٦) الآية رقم ٨٨ من سورة هود.
(٧) الآية رقم ١٠ من سورة الشورى.
(٨) سورة الممتحنة الآية رقم ٤.
(٩) سورة الملك الآية رقم ٢٩.
(١٠) سورة المزمل الآيتان ٨ و٩.

هو الإنقطاع إلى الله وهو لا يصح إلا بالإعراض عما سوى الله ولزوم الإقبال إليه والإشتغال بعبادته وقوله تعالى ﴿**لا إله إلا هو**﴾(١) دال على العبادة بطريق الحصر وكقوله تعالى ﴿**لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب**﴾(٢) فالعبادة لله والاستعانة بالله لا توجد حقيقة الإسلام إلا بقيام العبد بهما واخلاصهما لله تعالى.

فصـــــل

إذا علمت ذلك فاعلم أن الدين الذي خلق الله تعالى الخلق له هو عبادة الله وحده لا شريك له والدعوة إليه ومعرفته كما قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾(٣). وقال تعالى: ﴿**له دعوة الحق**﴾(٤).

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (دعوة الحق التوحيد)(٥) وقال ابن عباس (دعوة الحق لا إله إلا الله)(٦) فدعوة الحق هي دعوة الإلهية وحقوقها وإخلاصها وقال تعالى ﴿**الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن**

---

(١) سورة الرعد الآية رقم ٣٠.

(٢) أي في إفراد العبادة له سبحانه وتعالى.

(٣) سورة الذاريات الآية رقم ٥٦ فهذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها وبعث جميع الرسل يدعون إليها وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته والإنابة إليه والإقبال إليه والإعراض عما سواه وإنتهى تيسير الكريم الرحمن للسعدي ج٨ ص٣٠ وتقديم الجن على الإنس لتقدمهم في الخلقة لا لفضلهم انتهى الجمل ج٤ ص٢١٠.

(٤) الآية رقم ١٤ من سورة الرعد ودعوة الحق كلمته وهي لا إله إلا الله.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ج٤ ص٧٩. (٦) أنظر تفسير القرطبي ج٩ ص٣٠٠.

الله قد أحاط بكل شيء علما﴾[١] وبهذا أرسل الرسل وأنزل الكتب. قال الله تعالى ﴿والله أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب﴾[٢] وقال تعالى ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميـزان ليقـوم النـاس بالقسط﴾[٣] القسط الـذي قامت به السموات والأرض هو العدل وأعظم العدل التوحيد بل هو رأس العبادة وقوامها كما أن الشـرك أعظم الظلم كما قال تعالى حاكيا عن لقمان ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾[٤] فأخبر سبحانه وتعالى أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف بأسمائه ويعبد وحده لا شريك له وأن يقوم الناس بالقسط فهو محض حق الله على العباد كما في حديث[٥] معاذ[٦] وسيأتي إن شاء الله وهو العـاصم للدم والمـال والذرية إلا بحق الإسلام وهو أول مفتاح دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وأول فريضة فرضها الله على العباد كمـا قال تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[٧]

(١) الآية رقم ١٢ من سورة الطلاق فمن هذه الآية يعرف إحاطة قدرة الله تعالى بجميع الأشياء وإحاطة علمه بكل شيء.
(٢) الآية رقم ١٧ من سورة الشورى فالمراد بالكتاب القرآن ومعنى بالحق لإشتماله على كل شيء والمراد بالميزان العدل.
(٣) الآية رقم ٢٥ من سورة الحديد والمراد بالقسط العدل فهو عدل في الأقوال والأفعال والذي جاءت به الرسل كل عدل وقسط في الأوامر والنواهي.
(٤) الآية رقم ١٣ من سورة لقمان وهي قوله تعالى ﴿وإذا قال لقمان لإبنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾.
(٥) في الأصل الحديث والصواب ما أثبتناه.
(٦) ولفظه إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمـدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا أو عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل أخرجه ابن ماجه مختصرا وللحديث روايات متعددة أنظر الوافي في شرح الأربعين النووية ص٤٣.
(٧) الطاغوت الشيطان وقيل كهان كانت تنزل عليهم الشياطين في كل حي واحد وقال ابن القيم رحمه الله الطاغوت ماتجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع انتهى تيسير العزيز الحميد ص٥٠.

وقال تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فأعبدون﴾(١) وقال لرسول الله ﷺ ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾(٢) وحكى الله عن رسله دعاءهم العباد إلى التوحيد كما قال عنهم ﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾(٣) ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾(٤) ﴿أن اعبدو الله وأتقوه وأطيعون﴾(٥).

فصل (٦)

واعلم أن العبادة(٧) وهي أقصى غاية الخضوع والتذلل وهي مشتقة من الذل يقال طريق معبد أي مذلل ومنه قول موسى عليه السلام لفرعون ﴿وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل﴾(٨) أي ذللتهم

(١) الآية رقم ٢٥ من سورة الأنبياء فأدلة العقل والنقل شاهدة على أنه لا شريك له فالنقل ثابت عن جميع الأنبياء فلم يرسل نبي إلا بالتوحيد والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له انتهى تفسير القرطبي ج١١ ص٢٨٢.

(٢) الآية رقم ٤٥ من سورة الزخرف وفيها توحيد الألوهية.

(٣) الآية رقم ٥٠ من سورة هود.

(٤) الآية رقم ٢ من سورة هود.

(٥) الآية رقم ٣ من سورة نوح.

(٦) في تعريف العبادة وأنواعها.

(٧) والعبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل وقيل أيضا العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة وقال القرطبي أصل العبادة التذلل والخضوع وقال ابن كثير العبادة في اللغة التذلل يقال طريق معبد وغير معبد أي مذلل وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع وهكذا ذكر غيرهم انتهى تيسير العزيز الحميد ص٤٦ و٤٧.

(٨) الآية ٢٢ من سورة الشعراء ومعنى عبدت بني اسرائيل اتخذتهم عبيدا وقريء عبدت بالرفع خبر مبتدأ محذوف بدلا من نعمة انتهى فتح القدير ج٤ ص٩٦.

فاتخذتهم عبيدا وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف وهذا لا يحصل للعبد إلا بعد علمه أن المنفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع والمتصرف في الملك هو الله وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه **﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك[١] بخير فهو على كل شيء قدير﴾** فلا راد لفضله ولا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع الله وهذا توحيد الربوبية. ومعناه الواحد في التصرف والملك وهو الذي أقر به مشركوا العرب ولم يدخلهم في الإسلام[٢] كما قال تعالى **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾**[٣] **﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله﴾**[٤] **﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾**[٥] ولا يحتج الله به عليهم في توحيد إلهيته فإن الإقرار منهم بتفرد الرب جل وعلا بالتصرف في ملكوت السموات والأرض وبأن له الأرض ومن فيها وبأنه الرازق لهم مالك السمع والأبصار يوجب أن تكون العبادة وهي الدعاء[٦]

---

(١) الآية ١٧ من سورة الأنعام.

(٢) في الأصل (ولم يخرجوا به من الشرك) والصواب ما أثبتناه.

(٣) الآية التاسعة من سورة الزخرف.

(٤) الآية ٨٧ من سورة الزخرف.

(٥) سورة يونس الآية ٣١.

(٦) الدعاء هو التضرع إلى الله في كشف الضر وإزالته أو طلب أي أمر من الأمور فقد يطلق على العبادة كما في قوله تعالى ﴿أدعوني أستجب لكم﴾ قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في معارج القبول وثبت في الحديث الذي في السنن أن مخ العبادة ولبها الدعاء معارج القبول ج١ ص٣٢٨.

والخوف[١] والتوكل[٢] والرجاء[٣] والاستعانة[٤] والخضوع[٥] والتذلل وسائر أنواعها لله وحده لا شريك له إذ لا يدعى ولا يخاف ولا يرجى ولا يتوكل ولا يستعان ولا يخضع ولا يتذلل إلا لمن يملك الضر والنفع ومن بيده ملكـوت كل شيء فالسجـود[٦] والركوع[٧] والتوكل والإنابة[٨] والخشية[٩]

---

(١) الخوف هو غم يحصل من توقع أمور في المستقبل وهو من أنواع العبادة قال الله تعالى ﴿فـلا تخـافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ وقال تعالى ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ والخوف الفزع ويطلق على القتل وعلى القتال وبه فسر اللحياني قوله تعالى ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع﴾ وبذلك فسر قوله تعالى ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾ والخوف العلم وبه فسر اللحياني قوله تعالى ﴿فمن خاف من موص جنفا أو إثما﴾ ﴿وإن خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا﴾ أنظر لسان العرب مادة خوف الجزء٢ ص١٢٩١.

(٢) التوكل على الله من أفضل العبادات وأعلى مقامات التوحيد وهو اعتماد القلب عليه وثقته به وأنه كافيه. قال عز من قائل ﴿وعليه فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ وقال تعالى ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنين﴾ وقال تعالى ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ معارج القبول ج٢ ص٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧.

(٣) الرجاء من أنواع العبادة قال عز وجل ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾.

(٤) الاستعانة هي طلب العون من الله عز وجل قال تعالى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وقال تعالى ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ أنظر معارج القبول ج١ ص٣٣٥.

(٥) الخضوع المراد به الخشوع والتذلل وسائر أنواع العبادة.

(٦) السجود هو وضع الجبهة وسائر الأعضاء السبعة على الأرض قال تعالى ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾.

(٧) هو الإنحناء على كيفية مخصوصة تعظيما لله تعالى قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾.

(٨) الإنابة هي التوبة النصوح والرجوع إلى الله تعالى ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾ وقال تعالى ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ معارج القبول ج٢ ص ٤١.

(٩) الخشية مرادفة للخوف وقيل بينهما فرق فالخشية تكون من الشيء العظيم وأما الخوف فيكون من أمر يسير أنظر الاتقان للسيوطي ج١ ص٤١٣.

والتوبة[١] والنذر[٢] والحلف[٣] والتسبيح والتكبير والتهليل والإستغفار وحلق الرأس خضوعا وتعبدا والطواف بالبيت والدعاء والذبح[٤] كل ذلك محض حق الله تعالى الذي لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب[٥] ولا نبي مرسل فمن طلب من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله فقد شبهه بالخالق وجعل ما لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا شبيها بمن له الأمر كله وبيده أزمة الأمور فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الرب (وهذا شرك[٦] في الربوبية).

(١) التوبة هي الإنابة إلى الله قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا﴾ وللتوبة شروط معروفة.

(٢) النذر ما يوجبه الإنسان على نفسه من أنواع القربات قال تعالى ﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم﴾ وقال تعالى ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا﴾ وفي الحديث من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه أنظر معارج القبول ج١ ص٤١٣ - ٤١٤.

(٣) الحلف هو القسم وهو من أنواع العبادات فالإقسام بغير الله شرك أصغر وروي في الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال (لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا) وفي الحديث (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك.

(٤) الذبح هو ما يقدمه الإنسان لله من هدي وأضحية وعقيقة وغيرها قال تعالى ﴿فصل لربك وانحر﴾ وقال تعالى ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾.

(٥) هذه العبادات المشار إليها سابقا وغير ذلك من العبادات كالتسبيح والتحميد وتلاوة القرآن وسائر الأذكار ينبغي أن تكون لله سبحانه وتعالى ولا يجوز صرف شيء منها لغير الله فحكم من صرفها أو بعضها لغير الله - قل أو كثر كائنا من كان - من ملك أو نبي أو ولي أو قبر أو جني أو شجر أو حجر كل هذا وذلك شرك أكبر والشرك من أقبح المناهي وأعظم الذنوب على الإطلاق قال تعالى ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم من دعائهم غافلون﴾ وقال تعالى ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ وقال تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ أنظر معارج القبول ج٢ ص١١٥، ١١٦، ١١٧. والشرك الأكبر موجب لصاحبه النار.

(٦) إضافة من المحقق لاستقامة المعنى.

فصــــل

وشرح هذه الجملة[١] يتبين بذكر فصول يذكر فيها من الأصول ما تبنى عليه هذه الجملة ويزيدها وضوحا. الأول: أن رسل الله من أولهم إلى آخرهم اتفقوا على الدعوة إلى التوحيد[٢] وهي توحيد في العلم[٣] والإعتقاد وتوحيد في الربوبية[٤] والألوهية فالأول التوحيد العلمي ومداره على اثبات صفات الكمال لله وعلى نفي التشبيه والمثال وتنزيه الرب جلا وعلا عن العيوب والنقائص ومباحث أهل علم الكلام[٥] في هذا النوع.

والعلم بهذا التوحيد يترتب عليه العلم بتوحيد الربوبية والألوهية وهذا القسم نوعان الأول توحيد الربوبية ومعناه أنه هو الرب وحده أي المالك

---

(١) أي قوله فالمشرك إلى آخره.

(٢) أي توحيد الألوهية، انظر نونية ابن القيم مع شرحها جـ٢ ص٥٤.

(٣) التوحيد العلمي هو توحيد الأسماء والصفات ويسمى التوحيد القولي الإعتقادي لأنه متعلق بأقوال القلوب الذي هو اقرارها واعتقادها وأقوال اللسان من الثناء على الله وتمجيده ويسمى أيضا بالتوحيد العلمي الخبري لأن المقصود منه مجرد العلم والمعرفة ويسمى توحيد الأسماء والصفات لإن مداره على إثباتها لله ويدخل فيه توحيد الربوبية وهذا هو الرأي الصحيح لتقسيم التوحيد.

(٤) ويسمى أيضا بالتوحيد الفعلي لأنه متعلق بأفعال القلوب والجوارح ويسمى أيضا الإرادي الطلبي لإن المقصود منه ارادة الله بأنواع العبادة والإخلاص له فيها ويسمى أيضا توحيد الإلهية والعبادة لإنه توحيد الله بأفعال العبيد وألا يتخذ من دونه شريك ولا ند... انتهى أنظر الكافية والشافية في الإنتصار للفرقة الناجية لمحمد خليل هراس ج٢ ص٥٥.

(٥) هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها (وهي فلسفة ونظريات). أعرضوا بها عما جاء الكتاب والسنة به. أنظر الحموية ص٧٦ ط ١٤١٠هـ.

المتصرف والرازق ومن يملك السمع والأبصار ومن يدبر الأمر ومن له الأرض ومن فيها وهو رب العرش العظيم وهو يجير ولا يجار عليه وهذا القدر يقر به أبو جهل فرعون هذه الأمة وسائر مشركي العرب ولا ينكرونه كما حكى الله عنهم ذلك ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك[١] وتوحيد الربوبية هو من التوحيد الواجب على العبد لكن لا يخلص العبد بمجرده عن الشرك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره[٢] الله بل لابد أن يخلص لله العبادة فلا يعبد إلا إياه والنوع الثاني توحيد الألوهية وهو توحيد العبادة التي هي[٣] غاية الخضوع والتذلل الناشيء عن غاية الحب وغاية التعظيم ومعناه إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات من غاية الخضوع والتذلل والدعاء والتقرب بالذبائح والسجود وهذا النوع هو نتيجة النوع الأول[٤] فإن العبادة والخضوع لا تنبغي إلا لمن بيده ملكوت كل شيء وهذا النوع هو الذي طلبته الرسل وبعثت به إلى الخلق[٥] فإن المشركين لم يقولوا إن الأوثان

---

(١) هذا حديث رواه مسلم في صحيحه ولفظه عن ابن عباس رضي الله عنه قال (كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك قال فيقول رسول الله ﷺ ويلكم قد فيقولون (إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك).

انظر النووي على مسلم ج٨ ص٩٠ قوله (قد قد) روي بإسكان الدال وكسرها مع التنوين ومعناه كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه ولا تزيدوا والحديث رواه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب التلبية عن ابن عباس ولفظ به.

(٢) قال تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

(٣) كلمة هي إضافة من المحقق.

(٤) أي توحيد الربوبية.

(٥) فالرسل يدعون جميعا للتوحيد وإن اختلفت شرائعهم في تحديد بعض العبادات والحلال والحرام. لم يختلفوا في الأصل الذي هو إفراد الله بالعبادة، قال النبي ﷺ (نحن معاشر الأنبياء ديننا واحد وقال تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك

شاركت الله في خلق السموات والأرض ولا في خلقهم ولا إنها ترزقهم ولا تحييهم فجميع أهل الشرك مقرون بأن الله الفاعل لجميع ذلك وحده كما حكى الله عنهم ذلك قال تعالى ﴿**قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون**﴾(١) وقال تعالى ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم**﴾(٢) وقال تعالى ﴿**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون**﴾(٣) وقال تعالى ﴿**قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل أفلا تذكرون. قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم. سيقولون لله قل أفلا تتقون. قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل فأنى تسحرون**﴾(٤) وقال موسى عليه السلام لفرعون ﴿**لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر**﴾(٥) فكل مشرك مقر بأن

وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ وقال تعالى ﴿**واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون**﴾ أنظر معارج القبول ج١ ص٢٩٤.

قال محمد خليل هراس وهذا النوع أي توحيد الأنبياء والمرسلين هو المقصود الأعظم من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام بل كان هو خلاصة رسالاتهم وفتح دعواتهم فما فهم من رسول إلا كان التوحيد أول ما يدعو إليه قومه كما قال تعالى ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾ أنظر شرح القصيدة النونية لمحمد خليل هراس ج٢ ص١٣٢.

(١) الآية رقم ٣١ من سورة يونس.

(٢) الآية رقم ٩ من سورة الزخرف.

(٣) الآية رقم ٨٧ من سورة الزخرف.

(٤) الآيات من ٨٤ إلى ٨٩ من سورة المؤمنين.

(٥) الآية رقم ١٠٢ من سورة الإسراء وتمامها ﴿**وإني لأظنك يافرعون مثبورا**﴾.

الله وحده خالقه وخالق السموات[1] والأرض ورب من فيها ورازقهم ومع إقرارهم بهذا فلم ينفعهم ذلك بل أباح الله دماءهم وأموالهم وذرياتهم[2] على لسان رسله حتى يوحدوه في العبادة كما وحدوه في أنه الرب الرازق ﴿**يخـرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي**﴾[3] ولهذا احتج الرسل عليهم بذلك فقال قل أفلا تذكرون فتعلمون أنه إذا كان وحده مالك الأرض ومن فيها فهو وحده معبودهم وأن هذه الأوثان لا تستحق شيئا من العبادة فإنها لا تملك ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فكيف تصرفون عن عبادته وحده. قال في الآية الأخرى فأنى تؤفكون وقد علمتم أن ربوبية ما سواه باطلة بإقراركم وشهادتكم فكيف تعبدون معه غيره فإن من له التصرف في الملك وحده فهو الإله وحده وكذا قوله تعالى ﴿**أفلا تتقون**﴾ أي الشرك في العبادة أي فإذا أنتم مقرون بأنه رب

---

(١) فالكفار يعرفون الله ويعرفون ربوبيته وملكه وقهره وكانوا مع ذلك يعبدونه ويخلصون له أنواعا من العبادات كالحج والصدقة والذبح والنذر والدعاء وقت الإضطرار ونحو ذلك أنظر تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ص٣٤.

(٢) السبب الذي أوجب سفك دمائهم وسبي نسائهم وإباحة أموالهم هو إشراكهم في توحيد العبادة الذي هو معنى (لا إله إلا الله) والدليل حديث (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. الحديث رواه البخاري ومسلم.

(٣) الآية رقم ١٩ من سورة الروم وهو قوله تعالى ﴿**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي. ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون**﴾ وقد ذكر الإخراج في أربعة مواضع من القرآن الكريم هنا وفي سورة آل عمران الآية رقم ٢٧ وفي سورة الأنعام الآية رقم ٩٥ وفي سورة يونس الآية رقم ٣١ والمراد بالحي هو من كانت فيه حياة وبالميت من لا حياة له فيه. والإخراج إشارة إلى الأسباب التي خلقها الله تعالى ويخلق منها والحيوان كائنات حية يخرج الله منها ما هو سبب للخلق كالنطفة من الإنسان وبعض الحيوان وكالبيضة من الطيور وبعض الزواحف وهذا تضمين للآية.
أنظر قرة العينين ص٦٧.

السموات والأرض ورب العرش وحده فكيف تشركون به غيره وتصرفون العبادة إلى غيره وأنتم عالمون أنه عاجز كما قال تعالى ﴿**أفمن يخلق كمن لا يخلق**﴾(١) وقال تعالى ﴿**والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون**﴾(٢) فكيف تطلبون منهم ما لا يملكه إلا الله ولا يقدر عليه سواه ومن فعل ذلك فهو من أضل الخلق كما قال تعالى ﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون**﴾(٣) لإنهم لا يملكون ما تطلبونه منهم ولا يقدرون على تحصيله فيستجيبون لكم كما قال تعالى ﴿**والذين تدعون من دونه ما يملكـون من قطمير. إن تدعـوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير**﴾(٤).

فصـــل

ومن هنـا نعلم أن توحيد الله في الربوبية أن يوحد بأفعاله كالرزق والإحياء والإمـاتـة والضـر والنفع وغير ذلك وتوحيد الله بالعبودية(٥) أن يقصده العبيد وحده بأفعالهم من العبادات التي أمرهم الله بها كالصلاة والدعاء والذبح ونحوها.

---

(١) الآية رقم ١٧ من سورة النحل.
(٢) الآية رقم ٢٠ من سورة النحل.
(٣) الآية رقم ٥ من سورة الأحقاف.
(٤) الآيتان ١٣ و١٤ من سورة فاطر.
(٥) والمراد به توحيد العبادة.

فصـــل

ومن هنا نعلم أن من أقر بأن الله هو الخالق الرازق مخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي رب السموات السبع ورب الأرض وهو يجير ولا يجار عليه وعبد مع الله غيره أنه لا ينفعه الإقرار بذلك مع شركه في العبـادة وقد سمى الله من كانت هذه صفته مشركاً مع إيمانه بأنه الخالق له وللسموات والأرض فقال تعالى ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشـركون**﴾[1] وقال ابن عباس مع إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السموات ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال قالوا الله وهم يشركون به[2] وكذا قال مجاهد وعطاء وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك وغيرهم وتعلم أن التوحيد الذي دعتهم إليه الرسل هو توحيد العبادة على أنواعها من الخضوع والتذلل والدعاء والتقرب بالذبائح والسجود وغير ذلك من أنواع العبادات وأن جميع ذلك لا ينبغي إلا لمن له الكمال المطلق وهو الله رب كل شيء ومليكه وأما الإقرار بخلق السموات والأرض وبأن الله هو الرازق الذي يجير ولا يجار عليه فهو أمر يشترك فيه الكافر والمسلم، وقد حكى أهل السير أنه لما سارت قريش إلى بدر بعث حفاف بن أيماء بن رحضة الغفاري وأبوه أيماء بن رحضه الغفاري إلى قريش حين مروا به أبناء (له) بجزائر[3] أهداها لهم وقال إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنـا فأرسلوا له مع ابنـه أن واصلتـك رحم قد قضيت الـذي عليك

خفاف وأبوه لهما صحبة.

(١) الآية رقم ١٠٦ من سورة يوسف.

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ج٣ ص٥٩ والآية نزلت في هؤلاء الذين أقروا بأن الله خالقهم وخالق الأشياء كلها وهم يعبدون الأوثان.

(٣) الجزائر الذبائح. ولفظ (له) إضافة من المحقق.

فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم ولأن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة[1] فهذا كلام أبي جهل وعتبة وشيبة وغيرهم من رؤساء الكفر فقتلهم الله على (أيدي)[2] رسله ولم ينفعهم ذلك الاقرار مع إشراكهم بالله في العبادة ماهو من خالص حق الله كالدعاء والسجود والتقرب بالذبح وغير ذلك إلى غيره ممن لا يملك ضراً ولا نفعاً فعلمت أن الشأن الذي تميز به المسلم من الكافر وحرم به دم المسلم وماله واوجب الله له به الجنة وحرمه على النار هو افراد الله وحده بالعبادة.

فصل

في الكلام على معنى لفظ الرب والإله والعبادة فبيان معاني هذه الألفاظ يظهر لك التوحيد من الشرك وهذا الفصل كالمقدمة لهذا البحث وإنما وقع تأخيره لأن الكلام على المعاني تابع لذكر الألفاظ.

فصل

أما معنى الرب فهو المتصرف المالك ويطلق في اللغة على السيد[3] وعلى المتصرف للاصلاح[4] وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى وفي

(١) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص(١٩٢).

(٢) اضافة من المحقق.

(٣) ومنه قوله تعالى على لسان يوسف ﴿**واذكرني عند ربك**﴾ وفي الحديث ﴿**أن تلد الأمة ربتها**﴾ انظر تفسير القرطبي جـ [١] ص [١٣٧].

(٤) قال ابن فارس في مقايس اللغة الراء والباء يدل على أصول. فالأول اصلاح لشيء والقيام عليه فالرب المالك والخالق والصاحب والرب المصلح للشيء - والأصل الثاني لزوم الشيء والإقامة عليه ويكون بمعنى التربية والتنشئة والانماء، والجمع والحشد والتهيئة، وللعهد وللرعاية وللكفالة وعلى العلاء والسيادة والرئاسة والتملك. وكل هذه المعاني وردت في القرآن ولها أمثلة لولا الإطالة لذكرتها.

القاموس الرب باللام لا يطلق لغير الله[(١)] انتهى وفي الصحاح ولا يقال في غير الله إلا بالإضافة[(٢)] انتهى قلت كما يقال رب الدار ورب [الإبل][(٣)] وأما الله فلا يقـال إلا لله وحـده فالله رب كل شيء ومليكـه لإنه المالك لملكوت السماوات والأرض ومن فيها والمتصرف في ذلك.

فصـــل

وأما معنى الإله[(٤)] فهو المعبود بحق وهو الله واشتقاقه من إله بالفتح بمعنى عبـد وتأله تعبد ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية لما أشرف الحليس بن علقمة بن ربان سيد الأحابيش إن هذا من قوم يتألهون[(٥)] أي يتعبدون ويعظمون أمر الإله وفي القاموس أله إلهة وألوهة وألوهية عبد عبادة ومنة لفظ الجلالة وفي الصحاح آلة بالفتح إلاهه أي عبـد عبادة ومنه قرأ ابن عباس (ويذرك وآلهتك) بكسر الهمزة قال وعبادتك وكان يقول إن فرعون كانوا يعبدونه ومنه قولنا الله وأصله إله على فعال بمعنى مفعول لأنه مالوه كقولنا أمام فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به انتهى وفي القاموس[(٦)] إله كفرح تحير ومثله في الصحاح[(٧)] إذا القول

(١) انظر القاموس المحيط للفيروزابادي ج [١] ص [٧٠] ط دار الفكر.

(٢) انظر الصحاح للجوهري ج [١] ص [١٣٠].

(٣) بياض بالأصل فأضفنا كلمة الإبل لاستقامة المعنى.

(٤) فالله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة قال في فتح المجيد ص٧ الله أصله الإله حذفوا الهمزة وأدغموا اللام في اللام فصارت لاما واحدة وأمـا معنى الإله فهو المألوه المعبود المستحق لإفراده بالعبادة لما اتصف به من صفات الألوهية وهي صفات الكمال. انظر الكواشف الجلية للشيخ عبدالعزيز السلمان ص١٩.

(٥) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص١٩٩ ط دار الجيل.

(٦) انظر القاموس المحيط للفيروزأبادي ج٤ ص٢٨٠.

(٧) انظر الصحاح للجوهري ج٦ ص٢٢٢٣.

تتحير في معرفته قيل أو من إنه الفصيل إذا ولع بأمه إذا العباد مولعون بالتضرع إليه في الشدائد ثم لما عبد المشركون مع الله غيره ودعوه وخضعوا له وتقربوا إليه بأنواع العبادات سموا ما عبدوا معه إلهاً آخر وإلهه لأنه مالوه أي معبود وفي القاموس[1] إله كفعال بمعنى مألوه وكل ما اتخذ معبودا إله عند متخذه من الآلهة انتهى وقد تقدم نحوه في الصحاح[2] الآلهة أيضا اسم للشمس فكأنهم سموها الآلهة لتعظيمهم لها وعبادتهم إياها والآلهة الأصنام سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها وأسماؤهم تتبع معتقداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه.

فصل

وأما العبادة[3] فقد تقدم أن معناها أقصى مراتب الخضوع وفي الصحاح العبودية الخضوع والذل والتعبيد التذلل يقال طريق معبد أي مذلل قلت ومنه قول موسى لفرعون ﴿**وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل**﴾ أي ذللتهم باتخاذك إياهم عبيدا.

---

(١) انظر القاموس المحيط للفيروزأبادي ج٤ ص٢٨٠ وفيه وأصله إله.

(٢) أنظر الصحاح للجوهري ج٦ ص٢٨٠ وفيه الآلهة أيضا اسم للشمس.

(٣) العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. انتهى قرة عيون الموحدين ص٣ وقيل في تعريف العبادة اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته فالحب الخالي عن ذل والذل الخالي عن حب لا يكون عبادة وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين وقيل العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة رسله وقال القرطبي أصل العبادة التذلل والخضوع انظر فتح المجيد ص١٤ وقيل العبادة عبارة عن ما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف انظر تيسير العزيز الحميد ص٤٧.

فصـــل

إذا علمت أن معنى الرب المتصرف المالك وأن معنى الإله المعبود وأن معنى الإله والألوهية العبادة والعبودية وأن العبادة هي أقصى مراتب الخضوع حباً وذلاً علمت أن من قصد غير الله بشيء من العبادة[١] أو أثبت له بعض خواص الرب فقد اتخذوه ربا وإلها سواء أطلق عليه اسم الإله أم لم يطلق فإن الإله المعبود وغلب على المعبود بحق وهو الله وكانت العرب تتبع الأسماء المعاني وقد مر نقل الصحاح.

في تسميتهم الشمس إله والأصنام آلهةً لاعتقادهم أن العبادة تحق لها والعبادة جنس يدخل تحت الدعاء والذبح وغيرها كما سنذكر إن شاء الله وان تفاوتت مراتب العبادة وانقسم الشرك بذلك التفاوت إلى أكبر[٢] واصغر[٣] فجميع انواع العبادة حق لله لا ينبغي لغيره منه شيء ولا يصلح الا له وقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا

---

(١) حكم من صرف شيئا من العبادة لغير الله كالذبح مثلا فهو مشرك شركا أكبر مخرجا عن دائرة الإسلام فالشرك الأكبر هو أن يصرف العبد نوعا أو فردا من أفراد العبادة لغير الله. انظر القول السديد للسعدي ص٣٠.

(٢) الشرك الأكبر انه يجعل لله نداً يدعوه كما يدعو الله ويسأله الشفاعة كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله ويحبه كما يحب الله ويخشاه كما يخشى الله وبالجملة فهو أن يجعل لله ندا يعبده كما يعبد الله انظر تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ص٤٥.

(٣) الشرك الأصغر لا يخرج من الملة وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالرياء وله أنواع كثيرة وقيل الشرك الأصغر هو ما اتى في النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر اعلام السنة المنشورة تحقيق أحمد علوش ص٥١.

الطاغوت[١] وقول الرسل للأمم ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ مع قولـه: ﴿وقضى ربـك الا تعبـدوا إلا اياه﴾[٢] لا تعبدون إلا الله معناه اقصدوه بأنواع العبادة وذلك كالخضوع والدعاء والذبح والسجود والتوكل والصلاة وغيرها من أنواع العبادة مما أمر بها تعالى فإن العبادة الشرعية منشأها من الأمر لا من هوى النفوس فتلك عبادة الشيطان وكل بدعة ضلالة ومعنى اجتنبوا الطاغوت أي ما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله من الأوثان والانداد فإن الطاغوت الشيطان كما فسره عمر[٣] بذلك وهو شامل لكل شر عليه أهل الجاهلية وهذا معنى الحصر في الآية الأخرى فأمر بعبادته وحده ونهى عن عبادة غيره.

فصـــل

إذا علمت أن معنى أله بالفتح عبد وان الاله المألوه أى المعبود وان معنى العبادة ما يجمع كمال المحبة والخضوع والاله ظهر لك معنى لا اله إلا الله أي لا معبود الا الله واتى بـ (إلا) لقصر حقيقة الاله على الله فقد جمعت هذه الكلمة نفي عبادة غير الله واثبتت توحيد الله فالمنفى كل فرد من أفراد الإله غير الله جل وعلا والمثبت من تلك الحقيقة فرد

(١) الآية رقم (٣٦) من سورة النحل والمعنى اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه.

(٢) الآية رقم (٢٣) من سورة الإسراء.

(٣) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انظر فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص١٦ وقال جابر الطواغيت كهان كانت تنزل عليهم الشياطين وقال مالك الطاغوت كل ما عبد من دون الله وقد حده ابن القيم حدا جامعا فقال: ـ الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

واحد وهو الله جل وعلا لانه الذي له صفة الكمال فهو المعبود بالحق ولا يستحق أن يكون معبوداً محبوباً لذاته إلا الله لأنه الذي له التقرب بملك الضَّر والنفع والعطا والمنع وذلك يوجب أن تكون جميع العبادات من الدعاء والإنابة والتوكل وغيرها لله وحده.

فصـــل

ومن هنا نعلم أن من سأل غير الله [فيما][1] لا يقدر عليه إلا الله أو قصد شيء من العبادة فقد عبده مع الله وهذا قبحه عقلاً وشرعاً أن يكون لغيره من العبادة شيء لأنه لا يستحق ذلك إلا من بيده أزمة الأمور وله مقاليد السماوات والأرض فقد فطر الله الخلق على معرفته وتوحيده وانه لا إله إلا هو واشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا [بلى] شهدنا[2] وقال تعالى ﴿**فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم**﴾[3] قال البخارى لا تبديل لخلق الله لدين الله، خلق الأولين على الدين وفطرة الإسلام[4] ثم أخرج حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ «ما من مولود يولد إلا على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء[5]

(١) لفظ فيما إضافة من المحقق لاستقامة المعنى.

(٢) كما في الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.

والمعنى أنه أخرج بعضهم من بعض من صلب أدم نسلا بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر (جمعهم) بنعمان [مكان بجنب عرفة] يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا «واشهدهم على أنفسهم» قال «ألست بربكم قالوا بلى» أنت ربنا أنظر تفسير الجلالين ص [٢٢١].

(٣) الآية رقم ٣٠ من سورة الروم.

(٤) رواه البخاري في كتاب التفسير ج٣ ص١٧٣.

(٥) أي سليمة من العيوب مجتمعة الأعضاء كاملتها. انظر تفسير القرطبي ج١٤ ص٢٤.

هل تحسون فيها من جدعاء» ثم يقول فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فالتوحيد مما فطر الله العقول على معـرفتـه وبعث الله به الـرسـل لمـا غيرت الشياطين فطرة أكثر الخلق واضلتهم عن دينهم كما في صحيح مسلم عن عياض[1] بن حمار أن رسول الله ﷺ قال يقول الله إن خلقت عبادي حنفاء فجالتهم الشياطين عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت وأخرجه أحمد عن يحيى بن سعيد عن هشام عن قتادة عن مطرف عن عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته إن ربي عز وجل أمرني ان أعلمكم ما جهلتم مما علمني الله في يومي هذا كل مال نحلته[2] عبادي حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن ذنبهم وحرمت عليهم ما أحللت وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ثم إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم[3] عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثت لأبتليك[4] وابتلي بك وأترك عليك كتـابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظانا[5] ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت يارب إذا يثلغوا[6] رأسي فيدعوه خبزة فقال استخرجهم كما

(١) هو عياض بن حمار التميمي المجاشعي كانت له وفادة وهو معدود في البصريين. خرج عنه مسلم حديثا واحدا، وخرج عنه الأربعة، روى عنه مطرف وزيد بن الشخير والحسن. عاش إلى حدود الخمسين رضي الله عنه ورحمه. انظر الرياض المستطابة للعامري ص٢٤٠.

(٢) اعطيته قال في بلوغ الأماني وفي الكلام حذف أي قال الله تعالى كل مال أعطيته عبادي فهو لهم حلال والمراد إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة ونحوها.

(٣) المقت أشد البغض. (٤) لأمتحنك.

(٥) معناه لا يغسل محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على مر الزمان ومعنى (نائما) و(يقظانا) محفوظا لك في حالتي النوم واليقظة وقيل تقرأه في يسر وسهولة.

(٦) أي يشدخوه ويشجره كما يشدخ الخبز أي يكسر

استخرجوك واغزهم نغزك وانفق عليهم فستنفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك[١].

فصــــــل

إذا علمت ذلك فكلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله وإن كان لفظها مامـورا به ولا يصـح اسـلام أحـد إلا بالتلفظ بها مع القدرة كما في الصحيح[٢] أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث لكن معناها هو روحها ولبها وهو الكفر بعبادة غير الله وتوحيد الله ولذا امتنع المشركون من قولها لمعرفتهم معناها وانها خالعة للأنداد والأوثان التي يعبدونها والعبودية كما تقدم والإله عندهم هو المعبود سواء كان بحق وهو الله أو معبـود ببـاطل كعبادتهم الملائكة والأنبياء عزيز وموسى وعيسى وغيرهم من الأولياء وغيرهم وكعبـادة الشجـر[٣] والحجـر[٤] والكواكب[٥]

(١) انظر الفتح الرباني لأحمد عبدالرحمن البنا ج٢١ ص ٢٧١، ٢٧٢ وكذلك صحيح مسلم والحديث طويل.

(٢) انظر صحيح البخاري ج١ ص١٣ مطبعة، دار الكتب العربية.

(٣) بوب له الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوله باب من تبرك بشجرة أو حجرة ونحوها واستدل على تحريم ذلك بقول أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وبحديث أبي واقد الليثي وغيره وعد هذا من الشرك الأكبر فعلى هذا كل من تبرك بشجرة أو قبر أو غير ذلك قاصدا منها جلب النفع أو دفع الضر فقد وقع في الشرك.

(٤) أو تبـرك بحجـر كالـلات وكانت صخرة بالطائف لثقيف على قبر رجل صالح كان يلت السويق للحاج فبعث النبي صلى الله عليه وسلم لها أبا سفيان والمغيرة بن شعبة فهدمها انتهى من فوائد على كتاب التوحيد لشيخنا حافظ بن أحمد الحكمي.

(٥) الكواكب كانت تعبد من قبل الصابئة انظر فتح القدير ص٥١٨.

والنار[١] والماء[٢] وغيرها[٣] وقد حكى الله عنهم ﴿**انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون**﴾[٤] وقالوا (أجعل الآلهة الها واحدا﴾[٥] وما ذاك منهم إلا لعلمهم أن هذه الكلمة العظيمة التي هي العروة الوثقى خالعة للأنداد.

فصل

ومما يدل على أن معنى لا إله إلا الله لا معبود الآ الله[٦] قول إبراهيم عليه السلام ﴿**إنني براء مما تعبدون الآ الذي فطرني فانه سيهدين**[٧]﴾ أي انى بريء من معبوداتكم الا الذي فطرني فنفى الآلهية عن الأشياء التي يعبدونها واثبتت الآلهية للذي فطره وجعلها كلمة باقية في عقبة أي عبادة الله وحده لا شريك به وخلع ما سواه من الانداد والكلمة هي لا إلـه إلا الله جعلها دائمة في ذريته ليقتدي بها من هداه الله من ذرية إبراهيم عليه السلام قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم ومثل هذا قوله تعالى ﴿**قل يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبـد إلا الله**﴾[٨] **فقـوله سواء أي عدل وإنصاف بيننا وبينكم قال**

---

(١) كعبادة المجوس للنار.

(٢) والمـاء كقنـاة جارية فمن قصدها ليصلي عندها أو ليدعوا عندها أو ليقرأ أو ليشكر الله سبحانه تعالى عندها ليخصها بأي عبادة من عبادات الله مما لم يشرع بتخصيص تلك البقعة به لا عينا ولا نوعا وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة انظر أقتضاء الصراط المستقيم ص٣١٥.

(٣) كالبقعة والقبر والنار.

(٤) الآية رقم [٣٥] من سورة الصافات.

(٥) الآية رقم [٥] من سورة ص.

(٦) الصحيح أنه لا مبعود بحق إلا الله وإلا فالمعبودات بالباطل كثيرة.

(٧) الآية رقم [٢٧] من سورة الزخرف. (٨) الآية رقم [٦٤] من سورة آل عمران.

أبـوالعاليه هي كلمة لا إله إلاّ الله ذكره عنه ابن جرير وابن أبي حاتم والدليل عليه أنه فسرها بقوله ألا نعبد الآ الله ولا نشرك به شيئا لا وثنا ولا صنما ولا صليبا ولا طاغوت ولا شيئا بل تفرد العبادة لله وحده لا شريك له وهذه دعوة جميع الرسل كما قال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[1] وهذا هو المراد في قوله تعـالى ﴿فمن يكفـر بالـطاغـوت ويؤمن بالله فقـد استمسـك بالعروة الوثقى﴾[2] أي من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه من عبادة كل ما يعبد من دون الله ووحد الله فعبده وحده وشهد ان لا إله إلا الله[3] فقد استمسـك بالعـروة الـوثقى أي استقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم وقـد قال عمر الطاغوت الشيطان رواه ابن جرير[4] وابن أبي حاتم[5] وسعيد بن منصور[6] وقريب منه عن مجاهد وقال مالك الطاغوت

---

(١) الآية رقم [٣٦] من سورة النحل. (٢) الآية رقم [٢٥٥] من سورة البقرة.

(٣) يشـترط لهـذه الكلمـة شروط سبعة العلم واليقين والقبول والانقياد والصدق والاخلاص والمحبة وقد جمعها الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في هذه الأبيات:ـ

وشروط سبعة قد قيدت   وفي نصوص الوحي حقا وردت
مكانة لم ينتفع قائلها   بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول   والانقياد قادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة   وفقك الله لما أحبه

وقد شرحها شرحاً وافيا في كتاب معارج القبول جـ١ ص٣٠٧ وما بعدها شرحاً مطول.

(٤) حكى هذا القول بن جرير في تفسيره ج٧ ص٧١ ولم يسنده إلى عمر رضي الله عنه ولعل ذلك موجود في موطن آخر من الكتاب وانظر تفسير ابن كثير ج١ ص٥٢٤. ط٢ دار المعرفة.

(٥) ابن أبي حاتم توفي سنة ٣٦٧ له كتاب الجرح والتعديل يرجع في ترجمته إلى سير أعلام النبلاء ج١٣/٢٦٣.

(٦) سعيد بن منصور يكني أبا عثمان توفي بمكة سنة ٢٧٧ روى عن طعمه بن عمرو وعبيد الله بن اياد وحجر بن الحارث روى عنه أبو زرعة اثنا عليه أحمد بن جميل انتهى سنن سعيد بن منصور تحقيق حبيب الاعظمي ج١ ص١٨.

هو كل ما يعبد من دون الله والمعنى متقارب وكلام عمر قوي جداً فإنه يشمـل كل شر عليه أهـل الجـاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها والطاغوت كلما تجاوز به العبد حده من معبود أو مطاع وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله عن قوله تعالى ﴿**يؤمنون بالجبت والطاغوت**﴾

فصـــل

من هنا تعلم أن من قصد غير الله بشيء من العبادة فقد ناقض كلمة لا إله إلا الله لعبادته غيره وإن سماه بما سماه فإن الشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه لا لإسمه ولفظه فمن سجد[١] لمخلوق وقال هذا ليس بسجود له بل هذا خضوع وتقبيل للأرض بالجبهة كما اقبلها بالفم وهذا للاكرام لم يخرج بهذه اللفظة عن كونها سجودا لغير الله ولو سماه بما سماه وكذلك من تقرب بالذبح لمخلوق من جني أو آدمي أو دعاه أو استعان به أو تقرب إليه فقد عبده وإن لم يسمي ذلك عباده بل سماه إستخداما للجن ولغيرهم فإن الذبح عباده كما هو المراد بالنسك في قوله تعالى ﴿**إن صلاتي ونسكي**﴾ أي ذبحي وكذلك الدعاء مخ العبادة كما سيأتي إن شاء الله تعالى في بابه والمقصود أن هذه الأفعال عباده وإن سمـاها بغيرها فالأسماء لا تغير المعاني فهؤلاء عباد الخلق من الجن

---

(١) لا يجوز السجود لغير الله لإنه تقديس وتعظيم لغير الله قال تعالى ﴿**ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون**﴾ والسجود من أجل العبادات البدنية وفي الحديث (أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد فحكم صرفه لغير الله شرك).

والإنس وغيرهم فإن كان المعبود راضيا بذلك فهو ولي عابده[(١)] في الدنيا والآخرة كما قال تعالى ﴿**يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير**﴾[(٢)].

فصـــل

وقـــد تقـدمت إشـارة إلى أن من لوازم الالهية القـدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات والغنى عن جميع المخلوقات وأن يصمـد[(٣)] إلى الرب في جميع الحاجات وتفريج الكربات وإجابة الدعوات كما قال تعالى ﴿**وهو على كل شيء قدير**﴾[(٤)] وقال تعالى في إحـاطتـه بالمعلومات ﴿**وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين**﴾[(٥)] وقوله تعالى ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقهـا ويعلم مستقـرها ومستودعها**﴾[(٦)]﴿**سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار**﴾[(٧)] ﴿**يعلم**

(١) وهذا يعتبر من رؤساء الطواغيت لأنه راضي بعبادة غير الله وكذلك من قبل الأرض بعد رجوعه إليها فإن ذلك يعتبر سجودا لغير الله.

(٢) الآية رقم (١٣) من سورة الحج.

(٣) الصمود هي الرجوع إلى الله.

(٤) الآية رقم ١٢٠ من سورة المائدة.

(٥) الآية رقم (٦١) من سورة يونس.

(٦) الآية رقم ٦ من سورة هود وتكملة الآية قوله تعالى ﴿**وكل في كتاب مبين**﴾.

(٧) الآية رقم ١٠ من سورة الرعد

السر واخفى﴾[1] **﴿وهو معكم أينما كنتم﴾**[2] وقال تعالى في افتقار ما سواه إليه وغناه عن خلقه **﴿يسأله من في السموات والأرض﴾** أي كل شيء فقير إليه وقال تعالى **﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾**[3] وقوله تعالى **﴿والله الغني وانتم الفقراء﴾**[4] وقال تعالى **﴿أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون﴾ ﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى عما يشركون﴾ ﴿أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض إإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾**[5] وقوله بعد كل آية من هذه الآيات أإله مع الله لينبههم إلى أن هذه الأفعال العظيمة من لوازم الألوهية وأنها لا تكون إلا للإله الحق وأن من فعل هذا وحده فهو الإله وحده وإذا لم يكن معه من يفعل كفعله فكيف تعبدون معه آلهة أخرى سواه وقد علمتم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وأنه المدعو عند الشدائد المرجو عند النوازل كما قال تعالى **﴿وإذا مسكم الضر فإليه تجارون﴾**[6] وقال تعالى **﴿وإذا**

(١) الآية رقم ٧ من سورة طه.

(٢) الآية رقم ٤ من سورة الحديد.

(٣) الآية رقم ١٥ من سورة فاطر.

(٤) هذا جزء من الآية رقم ٣٨ من سورة القتال.

(٥) الآيات من رقم ٦١ إلى رقم ٦٤ من سورة النمل فالله تعالى بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيده كما قال تعالى **﴿إنه هو يبديء ويعيد﴾**.

(٦) الآية رقم ٥٣ من سورة النحل.

مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾[١] فهو الذي يلجأ المضطر إليه والذي لا يكشف الضر سواه وقد أخرج أحمد عن أبي تيمية الهجيمي[٢] عن رجل من بني الهجيم سماه في رواية أخرى جابر[٣] بن سليم قال قلت يا رسول الله إلى من تدعو قال أدعو إلى الله وحده الذي إن مسك الضر فدعوته كشفه عنك والذي إن ضللت بأرض قفر فدعوته رد عليك والذي إن أصابك سنة فدعوته أنبت لك قال قلت أوصني قال لا تسبن أحدا ولا تزهد في المعروف ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط إليه بوجهك ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي واتزر إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعبين وإياك واسبال الإزار فإن اسبال الإزار من المخيلة وإن الله لا يحب المخيلة. وفي الرواية الأخرى أتيت رسول الله ﷺ وهو محتب بشملة وقد وقع هدبها على قدميه فقلت أيكم محمد رسول الله فأومأ بيده إلى نفسه فقلت يا رسول الله أنا من أهل البادية وفي جفاؤهم فأوصني قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط ولو أن تفرغ من دلوك في اناء المستسقي[٤].

---

(١) الآية رقم ٦٧ من سورة الإسراء والمعنى إذا حصلت الشدة وجاء الخوف من الغرق إتجهتم إلى دعاء الله وحده تاركين ما سواه وحينما يزول الخوف بالخروج من البحر حصل الأمن ورجعتم إلى الشرك.

(٢) في الفتح الرباني اسمه طريف بن مجالد كنافي الإضافه.

(٣) اسمه جرى بضم الجيم وفتح الراء وتشديد التحتية صغرا جابر بن سليم كما جاء مصرحا بذلك عند أبي داود.

(٤) انظر الفتح الرباني للشيخ عبدالرحمن البنا جـ١٧ ص٣٣٣، ٣٣٤.

فصل

وقد دل على وحدانية الله قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[١] وقوله تعالى: ﴿**قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا**﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿**ما أتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض**﴾[٣] وأما الأدلة على معرفته ففي القرآن من الأدلة قريب خمسمائة آية.

فصل

فكل من يملك الضر والنفع فإنه المعبود حقا أو المعبود لابد وأن يكون مالكا للنفع والضر ولهذا أنكر الله على من عبد من دونه من لا يملك ضرا ولا نفعا كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾[٤] وقال: ﴿**قل فاتخذتم من دونه أوليا لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا**﴾[٥] أي هذه لا تملك لأنفسها ولا لعابديها بطريق الأولى نفعا ولا ضرا.

---

(١) الآية رقم (٢٢) من سورة الأنبياء والمعنى أن الكون قائم على ناموس واحد فلو حصل اختلاف لفسد.

(٢) الآية رقم ٤٢ من سورة الإسراء.

(٣) الآية رقم ٩١ من سورة المؤمنون.

(٤) الآية رقم ١٨ من سورة يونس.

(٥) الآية رقم ١٦ من سورة الرعد.

فصــــل

ومن هنا تعلم أن من صرف شيئا من العبادات إلى غير الله فقد اتخذه إلها وربا أما كونه اتخذه إلها فقد صار له مألوها والمألوه المعبود وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه وقد سأله بعض حديثى الإسلام منهم أن يجعل لهم ذات أنواط فقال (الله أكبر هذا كما قال بنو إسرائيل اجعل لنا إلها كما لهم لتركبن سنن من كان قبلكم حتى) أخرجه ابن أبي شيبة(١) وأحمد والترمذي وصححه النسائي عن أبي واقد الليثي(٢) مع أنهم لا يعبـدون الشجـرة ولا يسألونها بل ينوطون(٣) بها أسلحتهم ومتاعهم فجعل اتخاذهم لها اتخاذ آلهة فما الظن بقصد مخلوق معظم لداعية والهتف به عند الشدائد فأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة ممن يوحي إليهم الشياطين وأما كونه قد اتخذه ربا فلتشبيهه لله في الربوبية

---

(١) وأخـرجه أحمد في مسنده ج٥ عن أبي واقد الليثي وفيه (فمررنا بسدرة خضراء عظيمة) الحديث واخرجه الترمذي في أبواب الفتن باب لتركبن سنن من كان قبلكم عن أبي واقد الليثي رقم الحديث ٢٢٧١ أنظر سنن الترمذي مع التحفة ج٦ ص٤٠٧ قال الترمذي هذا حديث صحيح وفي البـاب عن أبي سعيد وأبي هريرة كمـا أخرجه عدد كثير من أعلام الحديث فأخرجه عبدالرازق في مصنفه باب سنن من كان قبلكم عن أبي واقد الليثي رقم الحديث ٢٧٦٣ أنظر مصنف ج١١ ص٣٦٩ وأخرجه الطبراني وغيره وسميت ذات أنواط لأنها كان يناط بها السلاح.

(٢) اسمه الحارث بن عوف وقيل الحارث بن مالك صحابي مشهور مات سنة ٦٨ والحديث أورده غير واحد من أعلام الحديث.

(٣) يعلقون والعلة من النهي هو التبرك بالشجرة فالتبرك بها شرك أكبر والقوم حديثو عهد بالكفر كما في الحديث والمنتقل من الباطل الذي اعتاده لا يؤمن أن يكون في قلبه شيء من تلك العادات الباطلة.

وقد قال الله ﴿**ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا**﴾[1] وسبب نزول هذه الآية ما ذكروا أن اليهود والنصارى قالوا للرسول ﷺ أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم فقال الرسول ﷺ معاذ الله أن يعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فأنزل الله تعالى في ذلك[2] ﴿**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون**﴾[3] أما قوله تعالى ﴿**ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا**﴾ فيؤخذ منه أن من اختصه الله بالمنزلة العالية لا يتصور منه الهبوط عن المستوى الطيب فيأمر بعبادة غير الله فالرسول ﷺ نفى أن يعبد غير الله أو يأمر بعبادة غير الله في جوابه عليه والقرآن نزل بنفي أمره باتخاذ الملائكة والنبيين أرباب لأن الربوبية من لوازم الألوهية فنفي أحدهما نفي الآخر[4] واثبات أحدهما إثبات للآخر لأن المعبود لابد وأن يكون مالكا للنفع والضر ومن يملك الضر والنفع فهو المعبود فمن أثبت العبادة لأحد فقد أثبت له الربوبية ومن أثبت الربوبية لأحد فقد أوجب له العبادة.

---

(١) الآية رقم ٨٠ من سورة آل عمران والمعنى لا يأمركم بعبادة أحد غير الله لا نبي مرسل ولا ملك مقرب.

(٢) السبب مذكور في فتح القدير صفحة ٣٥٦ ج١ وفي غيره من التفاسير.

(٣) الآيتان رقم ٧٩ و٨٠ من سورة آل عمران والربانيون المراد بهم في الآية هم المصلحون للناس بعملهم ودعوتهم للناس وتربيتهم على الإسلام ولهذا قال تعالى: ﴿**ولكن كونوا ربانيين**﴾.

(٤) فالرجل لو أقر بما يستحق الرب تعالى من الصفات ونزهه عن كل ما يتنزه عنه وأقر بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحدا حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويأتي بلازمه من توحيد الألوهية.

فصـــل

ولم تزل دعوة الرسل إلى توحيد الله ونفي كل معبود سواه والتبري من ملك النفع والضر ولذا أمر رسوله أن يقول لهم ﴿**قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء**﴾[(١)] وقد حكى الله عن الأنبياء عليهم السلام نحو ذلك[(٢)] وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد عن جعفر بن برقان[(٣)] وهو مفتي الجزيرة ومحدثها قال الثوري ما رأيت أفضل منه كان عيسى عليه السلام يقول اللهم إني أصبحت لا استطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح

(١) الآية رقم ١٨٨ من سورة الأعراف.
قال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار هذه الأية من أعظم أصول الدين وقواعد عقائدة ببيانها لحقيقة الرسالة والفصل بينهما وبين الربوبية والالوهية وهدمها لقواعد الشرك ومباني الوثنية من أساسها أنظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا جزء ٩ صفحة (٥٠٧) وصفحة (٥٠٨).

(٢) وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم لنفي الضر أو دفعه عن غير الله سبحانه وتعالى في كثير من الأيات وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ﴿**إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم**﴾ والكثير من الآيات القرآنية تبين دعوة الرسل إلى التوحيد.

(٣) الرواية عن جعفر بن برقان هي رواية عبدالرزاق الصنعاني أما رواية ابن أبي شيبة التي في مصنفه فهي عن اسماعيل ابن أبي خالد قال حدثني رجل قبل الجماجم من أهل المساجد ونصه «أخبرت أن عيسى عليه السلام كان يقول اللهم أصبحت لا أملك لنفسي ما أرجو ولا أستطيع عنها دفع ما أكره وأصبح الخير بيد غيري وأصبحت مرتهنا بما كسبت فلا فقير أفقر مني فلا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني.
أنظر كتاب المصنف لأبن أبي شيبة جزء ١٠ صفحة ٢٧٩ ـ ط الدار السلفية ـ الهند ورقم الحديث (٩٤٣٥).

الأمر بيد غيري وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني فلا تشمت بي عدوي ولا تسوء بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تسلط علي من لا يرحمني فهـذا كلام الأنبياء عليهم السلام في التبري في ملكهم للنفع والضر إلا بربهم فإن ملك النفع والضر ليس إلا الله ولذا لا يصير العبد مسلما إلا بهذين التوحيدين توحيد الربوبية وتوحيد العبودية فمن أنكرهما أو أحدهما أو أثبت أحدهما لغير الله فهو كافر لتشبيهه غير الله بالله في خالص حقه.

فصـــل

إذا علمت ذلك علمت أن من دعا الناس إلى عبادته واللجوء إليه والتقرب بالذبح له بلسان حاله أو مقاله أنه قد رضي أن يتخذوه إلها[(١)] لتشبيهه بالله في ربوبيته وإلهيته فجزاؤه جهنم قال تعالى ﴿**ومن يقل منهم إني إلـه من دونه فذلك نجزيه جهنم**﴾[(٢)] وإله مألوه بمعنى معبود كما تقدم وقد روي محمد بن اسحاق أن النضر بن الحارث عرض لرسول الله ﷺ فكلمه النبي ﷺ حتى أفحمه وتلى عليه ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم أنتم لها واردون**﴾[(٣)] وقام النبي ﷺ فجاء عبدالله

---

(١) من دعا الناس إلى عبادة نفسه كفرعون ونحوه فهذا طاغوت لإن من رؤوس الطواغيت من دعا الناس إلى عبادة نفسه.

(٢) الآية رقم ٢٩ من سورة الأنبياء، وذكر بعض من المفسرين أن المراد به ابليس وهو شامل لكل من دعا إلى عبادة نفسه.

(٣) الآية رقم ٩٨ من سورة الأنبياء.

بن الـزبعـري[(١)] فأخبروه فقال لو وجدت محمدا لخصمته فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح ورأى أنه قد احتج فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته وأنزل الله تعالى ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون**﴾[(٢)] أي عيسى وعزيرا ومن عبد من الأحبار والرهبان وأنزل الله في أمر الملائكة ﴿**بل عباد مكرمون**﴾[(٣)] إلى قوله تعالى ﴿**ومن يقل منهم إني إله من دونه**﴾[(٤)] وقد روي عن أبي حاتم[(٥)] عن يزيد بن أبي مريم[(٦)] عن النبي ﷺ ﴿**وإذا النجوم إنكدرت**﴾ قال انكدرت في جهنم وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم إلا ما كان من عيسى وأمه ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها[(٧)] وقال تعالى ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا**﴾[(٨)] ومن أعظم الغلو وأشد الفساد من رضي من الناس بعبادته وقال تعالى ﴿**فبئس مثوى المتكبرين**﴾[(٩)] أليس في جهنم مثوى للمتكبرين[(١٠)]

---

(١) قيل الآية نزلت في عبدالله ابن الزبعري وقيل في عامة كفار مكة.
وعبدالله بن الزبعري قيل أسلم أنظر الفتوحات الربانية للجمل ص٩١ ج٤ وهذه القصة تحمل على ما قبل إسلامه.

(٢) الآية رقم ١٠١ من سورة الأنبياء.

(٣) الآية رقم ٢٦ من سورة الأنبياء.

(٤) الآية رقم ٢٩ من سورة الأنبياء.

(٥) سقط من أحد رواة الحديث (الديلمي).

(٦) في فتح القدير للشوكاني لا يوجد ذكر ليزيد وإنما الرواية عن أبي مريم.

(٧) انظر فتح القدير للشوكاني جزء ٥ صفحة ٣٩٢. ومعنى انكدرت انقضت تساقطت فلا يبقى نجم إلا ويسقط على الأرض.

(٨) الآية رقم ٨٣ من سورة القصص والمراد بالدار الآخرة الجنة والمراد بالعلو في الأرض البغي وبالفساد: عمل المعاصي. انظر الجلالين مع قرة العين صفحة ٥١٩.

(٩) الآية رقم ٧٢ من سورة الزمر.

(١٠) الآية رقم ٦٠ من سورة الزمر.

والكبر بطر الحق وغمط الناس وأقبح بطر الحق الرضا بعبادته من دون الله فمن رضي من الناس بدعائه عند الشدائد والذبح فقد رضي بأنه إله لهم وقد كلَّب العلو في الأرض والفساد وتكبر على الله لتشبهه بالله في ربوبيته وإلهيته التي هي من خالص حقه على العباد كما في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ وهو رديفه أتدري ما حق الله على عباده؟ قلت الله ورسوله اعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حق العباد على الله؟ قلت الله ورسوله أعلم قال حقه أن لا يعذبهم[1] وسواء أقر بذلك التشبه أم أبى وإذا كان قد صح أن رسول الله ﷺ لعن من آوى محدثا[2] لتشبهه بالله في شيء من خالص حقه وهو

(١) الحديث موجود في صحيح البخاري في موضعين في كتاب الرقاب انظر فتح الباري ج١١ ص٣٤٥ وفي كتاب التوحيد ينظر صحيح البخاري ج٤ ص٢٧٣ وانظر الفتح ج١٣ ص٣٦٨ ونصه في كتاب الرقاب ربينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل فقال يا معاذ قلت لبيك يا رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ قلت لبيك يا رسول الله وسعديك ثم سار ساعه ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك قال هل تدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك قال هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه قلت الله ورسوله أعلم قال حق العباد على الله أن لا يعذبهم.

انظر فتح الباري للحافظ بن حجر ج١١ ص٢٤٥ باب من جاهد نفسه في طاعة الله رقم الحديث ٦٥٠٠.

وحق الله على العباد هو ما يستحقه عليهم ويجعله متحتما وحق العباد على الله معناه أنه متحقق لا محالة لإنه قد وعدهم ذلك جزاء لهم على توحيده ووعده حق ﴿**إن الله لا يخلف الميعاد**﴾.

انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ص٦٥.

(٢) ونص الحديث عن علي رضي الله عنه قال حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من لعن والديه ولعن الله من أوى محدثا ولعن الله من غير منار الأرض رواه مسلم.

أنه يجير ولا يجار عليه وهذا في ايوائه محدثا في حكم شرعي وقد أقدر الله العباد عليه وأعطاهم من تمكين هذه الأفعال ما رتب به عليهم التكاليف الشرعية وبه قامت الحجة عليهم فلله[1].

الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين[2] فما يقال فيمن تشبه بالله فيما لم يعط العباد منه شيئا ولم يجعل لهم مثقال ذرة وهي الأحكام الكونية القدرية من سؤال الرزق والنصر لتفريج الكربات[3] وسائر ملك الضر[4] والنفع[5] مما انفرد الله به اليس قد تشبه بالله في خالص حقه وشبهه بالله ذلك الملتجي وقد ذكر الله انهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله[6] في ادنى هذه الرتبة فقد أخبر الله ان من اتبع شرع من لم يأذن به الله فقد اتخذه ربا وذلك لأنه اثبت له ما لا يكون إلا لله سبحانه وهو شرع الأحكام فأنه من لوازم الالهية قال عدي بن حاتم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فتبعوهم فتلك عبادتهم[7] فكيف بمن نازع الله رداء كبريائه وازار

(١) في الأصل ولله والصواب ما أثبتناه.

(٢) الآية رقم ١٤٩ من سورة الأنعام.

(٣) قال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك اذا من الظالمين) والمعنى لا تدعوا دعا عبادة من لا يملك النفع أو الضر لافي الدنيا ولا في الآخرة.

(٤) قال الله تعالى (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو).

(٥) قال تعالى (وإن يردك بخير فلا راد لفضله) والمعنى إن يردك بنعمة وسعادة وخير وتوفيق فلا أحد يقدر على منعه.

(٦) الآية رقم (٣١) من سورة التوبة.

(٧) ولفظ حديث علي رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية فقال له أنا لسنا نعبدهم قال: اليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونة فقلت بلى فتلك عبادتهم رواه أحمد وحسنه.

عظمته تشبه بالله فيما لم يعط العباد منه مثقال ذرة أو شبهه غيره بالله وإذا كان من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون لتشبههم بالله في مجرد صنعة يصنعها احدهم بيده كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصورة. وفي حديث ابن مسعود اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون[1] وفي حديث ابن عباس من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ. وفي حديث أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول: قال الله تعـالى: ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو فليخلقوا حبة أو فليخلقوا شعيرة[2] وكل هذه الألفاظ في الصحيح ونبه بالتمرة والشعيرة على ما هو أعظم من ذلك من مضاهاة الله وبعث رسول الله ﷺ عليًا ان لا يدع صورة إلا طمسها ولا قبراً مشرفاً إلا سواه[3] وفي رواية لأحمد ايكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً الا كسرة ولا قبرا مشرفا إلا سواه ولا صورة إلا لطخها وفيه من عاد إلى صنعـة من هذي كفر بما أنزل على محمد ﷺ قال الحافظ المنذري اسناده جيد فهذا حال من تشبه بالله في صنعة الصورة فكيف بمن تشبه بالله في ربوبيته والهيته أو شبه غيره به.

---

(١) رواه البخاري ١٠/٣٨٦، ٣٨٧، ومسلم ٣/١٦٦٨ عن عائشة.

(٢) رواه البخاري ١٣/٥٢٨، ومسلم ٣/١٦٧١ (٥٦) عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم ٢/٦٧١ عن أبي هريرة.

فصـــل

إذا علمت ذلك علمت ان من فعل ذلك فقد نازع الله ما لا يصلح إلا لله وأنـه حقيقة بأن يهيئه الله ويعامله بنقيض قصده ففي الترمذي والنســائي من روايتـه عن عمـر بن شعيب عن ابيه عن جده يحشـر المتكبرون امثال الذر يغشاهم الذل في كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بُولُس يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال[1] وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد وابي هريرة قال, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله: العز ازاره والكبرياء رداؤه فمن نازعني شيئا منها عذبته وهو في ابي داود بلفظ يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدة قذفته في النار[2] وهو في ابن ماجه عن رواية ابن عباس بلفظ فمن نازعني واحدا القيته في النار.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن بن عمر والحديث حسن أنظر صحيح الجامع الصغير للألباني ج٦ ص٣٢٧.

(٢) الحديث أخرجه مسلم جزء (١٦) صفحة (١٧٣) انظر مسلم مع النووي إلا أن في مسلم ينازعني بدل نازعني وعذبته بدل عن قوله قذفته في النار وأخرجه أبوداود باب ما جاء في الكبر جزء (١١) صفحة (١٥٠) ورقم الحديث ٤٠٧٢ عن أبي هريرة انظر السنن مع العون وأخرجه ابن ماجه كتاب الزهد باب البراءة من الكبر (٢) من (١٣٩٧) ورقم الحديث (٤١٧٤) عن ابن عباس وله رواية أخرى عن أبي هريرة.

فصـــل

لقد عمت البلوى بهذا فترى المتبوع يصرح لاتباعه بتفريج الكربات منه وبدعوى اختصاص بعض صفات الرب كعلم الغيب[(١)] وربما توعد من يراه مقصرا فيما يعتاده منه بانزال الضر الكوني القدري وترى التابع يعظم متبوعه بما لم يأذن الله به ويضيف إليه من العلم بالمغيبات والقدرة على ما يختص بالرب حتى يقال فلان متصرف في العالم ويسمع له بغـاية الخضوع التي هي حقيقة العبادة ويسأله الرزق والنصر وتفريج الكربات واجابة المضطر وكشف السوء[(٢)] ويتخذه ندا يحبونهم كحب الله أو اشـد ويعبدونه من دون الله ما لا يملكون لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون مما كان أهل الأوثان والأصنام يسألونه من أوثانهم وأصنامهم حتى اربوا في هذا الزمان على عباد الأصنام في زمان رسول الله ﷺ فإن أهل الجاهلية يخلصون الدعوة لله إذا عصفت بهم الـريح في البحـر كما قال الله تعالى ﴿**فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين**﴾[(٣)] وقوله تعالى ﴿**وإذا مسكم الضر في البحر ظل من تدعـون**[(٤)] **إلا ايـاه**﴾ وقوله تعالى ﴿**فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله**

---

(١) علم الغيب مختص بالله وقد يطلع بعض رسله على بعض علم الغيب قال تعالى (ولا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلكه من بين يديه ومن خلفه رصدا).

(٢) هذه الأمور المذكورة لا يجوز صرفها لغير الله ومن سأل شيئا من هذه الأمور فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك شرك أكبر.

(٣) الآية رقم (٦٥) من سورة العنكبوت.

(٤) الآية رقم (٦٧) من سورة الإسراء.

مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذ هم يشركون﴾[1] فاخبر انهم عند الاضطرار يدعونه لا شريك له[2] وأنه يذهب عنهم كلما يعبد من دون الله كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فارا من رسول الله ﷺ حين فتح مكة فذهب هاربا فركب البحر ليدخل الحبشة[3] فجاءتهم ريح عاصف فقال القوم بعضهم لبعض إنه لن يغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده فقال عكرمة والله لإن كان لا ينفع في البحر غيره فإنه لا ينفع في البر غيره اللهم على عهد لأن أخرجتني منه لأذهبن فأضعن يدي في يد محمد فلأجدنه رؤوفا رحيما فخرجوا من البر فرجع إلى الرسول ﷺ فأسلم وحسن إسلامه والحديث معروف أخرجه ابن أبي شيبة وأبو داوود وابن مردويه، وابن سعد والبيهقي[4] بعضهم عن سعد بن أبي وقاص وبعضهم عن عروة وابن أبي مليكة والجميع بألفاظ متقاربة وهؤلاء الضلال في هذا الزمان إذا عصفت بهم الريح تنادوا ليدع كل منكم شيخه ولا تسمع إلا يازيلعي يا حضرمي يا بدوي يا عبدالقادر يا شاذلي

---

(١) الآية رقم (٦٥) من سورة العنكبوت.

(٢) هذا حال المشركين من قريش وغيرهم فإنهم يخلصون لله في الشدائد وينسون ما يشركون حتى جاء أنهم إذا جاءتهم الشدائد في البحر يلقون أصنامهم في البحر ويقولون ياالله يا الله لعلمهم أن آلهتهم لا تكشف الضر ولا تجيب المضطر. تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبدالله ص٢١٩.

وأما المشركون في الأزمنة المتأخرة فإنهم إذا أصابتهم الشدائد أخلصوا لآلهتهم وأوثانهم انتهى المرجع السابق ص٢٢٠.

(٣) في بعض النسخ ذهب إلى اليمن.

(٤) الحديث أخرجه البيهقي في كتاب السنن الكبرى ج٨ ص٢٠٥ من حديث طويل كتاب المرتد باب من قال في المرتد يستتاب مكانه فإن تاب وإلا قتل عن مصعب بن سعد. وأخرجه في موضع آخر مختصرا.

يا صندل يا أبا فراج فرجها يا فلان يا فلان[١] لا تسمع منهم من يقول بالله فيرتج المركب بالأصوات بذكر الشيوخ وهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله وأباح دم صاحبه وماله وذريته لأهل الإسلام لأنه سأل غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله فقد عبده مع الله واتخذه إلها وربا وإن سماه شيخا وسيدا أو لمناقضته كلمة التوحيد بالكفر والشرك هو لحقيقته ومعناه لأنه أعطاه غاية خضوعه وذله وفقره ومسكنته من الدعاء والسجود والتقرب بالذبح ونحوها لغير الله وهو معنى العبادة التي هي معنى الآلوهية وجعل العاجز الفقير بالذات الذي لا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض شبيها بالقادر الغني مالك السموات والأرض كما قال تعالى ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما لهم منهم من ظهير**﴾[٢].

فصل

وقد علم بالضرورة أن من رد ضروريا من الدين كالمتواتر من الشريعة عن صاحبها أنه كافر[٣] وقد علم أن تفرد الله بملك الضر والنفع من ضروريات الدين وأنه معلوم لأهل الإسلام وقد فطر الله الخلق عليه كما

(١) وكقولهم يا ابن علوان يا مناجي قال الشيخ سليمان بن محمد بن عبدالوهاب وفي كل بلد في الغالب أناس يدعونهم ويسألونهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات بل بلغ الأمر إلى أن يسألوهم مغفرة الذنوب وترجيح الميزان ودخول الجنة والنجاة من النار والتثبت عند الموت والسؤال وغير ذلك من أنواع المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وقد أطال البحث هناك فليرجع إليه في تيسير العزيز الحميد ص٢٢٠.

(٢) الآية رقم ٢٢ من سورة سبأ.

(٣) وهذا كمن أنكر وجوب الزكاة والحج أو غيرهما من الأمور المتواترة بالشريعة.

في الصحيح مرفوعا (كل مولود يولد على الفطرة)[١] ولذا أنكر الله على من عبد من دونه ما لا يملك ضرا ولا نفعا وهو في القرآن كثير كقوله تعالى ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾[٢] إلى قوله تعالى ﴿**والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه**﴾[٣] وقوله تعالى ﴿**قل أفتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا**﴾[٤]وقوله تعالى ﴿**أتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله**﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿**هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون**﴾[٦] وقوله تعالى ﴿**واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا**﴾[٧] وقوله تعالى ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم**﴾[٨] وكان الكافر على ربه ظهيرا فنفى سبحانه عن هؤلاء

---

(١) الحديث ثابت في الصحيحين كما أثبته غير واحد من العلماء وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم في ما يرويه عن ربه عز وجل (خلقت عبادي حنفاء مسلمين فاختالتهم الشياطين وحرمت عليهم ماأحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم ينزل الله به سلطانا ومنها مارواه الترمذي عن أنس قال قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم يولد على فطرة الإسلام ولكن الشياطين اتتهم فإختالتهم عن دينهم فهودتهم ونصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا والأحاديث في هذا الباب كثيرة وأوردها ابن تيمية في بعض فتاويه انظر مجموعة الرسائل المنيرة ص١٩٧ ج٢.
وقد اختلف العلماء في تفسير الفطرة على أقوال فقيل المراد بها الإسلام وقيل دين الإسلام وجميع الأقوال متقاربة انظر المرجع السابق ج٢ صفحة ١٩٢.

(٢) الآية رقم ١٨ من سورة يونس.

(٣) الآية رقم ١٤ من سورة الرعد.

(٤) الآية رقم ١٦ من سورة الرعد.

(٥) الآيتان رقم ٦٥، ٦٦ من سورة الأنبياء.

(٦) الآيتان رقم ٧٢، ٧٣ من سورة الشعراء.

(٧) الآية رقم ٣ من سورة الفرقان.

(٨) الآية رقم ٥٥ من سورة الفرقان.

المعبـودين من دونـه ملك الضر والنفع القاصر والمتعدي فلا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم.

ومن هنا [يعلم][(١)] أن من سأل غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله[(٢)] واثبت ملك الضر والنفع لغير الله كما يقول بعضهم فلان متصرف في العالم وكل عبارة اخبث من اختها فقد رد ما ثبت بالضرورة عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم [ومن][(*)] كذب القران] فهو كافر مُباح الدم والمـال والذرية وقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار وإذا لم يكن هذا الكفر فما الكفر سواه ومن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه[(٣)] ومن لم يقبل الإسلام بالبرهان والقرآن قبل الكفر بلا برهان ولا قرآن ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون[(٤)]

---

(١) في الأصل بدون يعلم.

(٢) وذلك كطلب الأمور الغيبية أو الكونية كإنزال المطر وكشف الوباء والضر إلى غير ذلك في ما لا يقدر عليه إلا الله فعلى هذا يحكم على كل من يسأل غير الله في ما لا يقدر عليه إلا الله بأنه مشرك شركا أكبر مخرجا من الملة والآيات في هذا الباب كثيرة كقوله تعالى ﴿ولا تدعوا من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾ فيدخل فيه كل ما سوى الله فلا يملك شيئا من المخلوقات مع الله نفعا ولا ضرا قال تعالى ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون﴾ وقال تعالى ﴿ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا﴾.

(*) كلمة من إضافة المحقق.

(٣) الآية رقم [٨٥] من سورة آل عمران.

(٤) الآية رقم ١١٧ سورة المؤمنون.

فصـــل

ومن هنا يعلم وهم بعض العلماء في جهلهم اعتقاد النفع والضر في غير الله[(١)] من كفر دون كفر وإن كان الكفر أكبره[(٢)] وأصغره[(٣)] لا فلاح معه ورد كلامهم قد تضمنه ما ذكرناه أولا يؤخذ من غضون هذه الأبحاث التي مرت ومنهم من فصل فقال قبل العلم من كفر [دون كفر][(*)] وبعد العلم فهو الكفر الأكبر وهؤلاء منهم السيد محمد بن إسماعيل[(٤)] وسأشير إلى شيء من كلامهم لبيان سقوطه وأنهم قد كفونا مؤنة الرد عليهم ولنورد هنا

---

(١) هذا من الشرك الأكبر وهو أن يجعل لله ندا يدعوه كما يدعو الله ويسأله الشفاعة كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله ويحبه كما يحب الله ويخشاه كما يخشى الله. قال تعالى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ وهذا من الشرك في العبادة... أنظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله صفحة (٤٥).

(٢) الكفر الأكبر يخرج من الإيمان بالكلية وهو الكفر الإعتقادي المنافي لقول القلب وعمله أو لأحدهما وله أنواع أربعة: كفر جهل وتكذيب، وكفر جحود وكفر عناد واستكبار وكفر نفاق وقد ذكرها بالتفصيل شيخنا حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله في كتابه أعلام السنة المنشورة صفحة (١٤٨).

(٣) الكفر الأصغر ينافي كمال الإيمان ولا ينافي مطلقه وهو الكفر العملي الذي لا يناقض قول القلب ولا عمله ولا يستلزم ذلك وهو كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر مع بقاء اسم الإيمان على عامله كقول النبي صلى الله عليه وسلم: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) أنظر المرجع السابق صفحة (١٤٩).

(*) إضافة من المحقق.

(٤) هو محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني صاحب التصانيف ولد ليلة الجمعة سنة ١٠٩٩هـ بكحلان وأخذ من علمائها له مصنفات منها منحة الغفار والعدة حاشية على شرح العمدة لابن دقيق العيد إلى غير ذلك من المصنفات ومات في شهر ذي الحجة سنة ١١٨٢هـ.

كلام السيد محمد في رسالتين[١] له ليظهر بذلك التناقض في البعض ويمكن التلفيق في بعض فإنه قد قال في رسالة بعد ذكر أقوال السلف في كفر دون كفر ما لفظه ومن هذا كفر من يدعو الأولياء ويهتف بهم عند الشدائد ويطوف بقبورهم.

وينذر لهم بشيء من ماله فإنه كفر عملي لا إعتقادي[٢] لكن زين لهم الشيطان أن الصالحين ينفعون ويضرون كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام لكن هؤلاء يثبتون لتوحيد الله لا يجعلون الأولياء آلهة كما قال الكفار أجعل الآلهة إلها واحدا[٣] وقالوا في التلبية لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك[٤] وإن كانت عبادتهم الضالة قد أفادت أنه لا شريك له لأنه إذا كان يملكه فليس شريك له فعباد الأصنام جعلوا الأنداد بخلاف جهلة المسلمين الذين اعتقدوا في أوليائهم النفع والضر فإنهم مقرون لله بالوحدانية وإفراده بالألوهية وصدقوا رسوله فالذي أتوه من تعظيم الأولياء كفر عملي لا اعتقادي فالواجب تعريفهم جهلهم

---

(١) في الأصل رسالتي.

(٢) إن هذا وما شاكله لا يعتبر من الكفر العملي إلا من جهة كونه واقع بعمل الجوارح فيما يظهر للناس ولكنها لا تقع إلا مع ذهاب عمل قلب من نيته وإخلاصه ومحبته وانقياده لا يبقى معها شيء من ذلك فهي وإن كانت عملية في الظاهر فإنها مستلزمة للكفر الإعتقادي. انتهى المرجع السابق صفحة (١٥١).

(٣) ولذلك أن كفار قريش شكوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمه أبي طالب: إن ابن أخيك سفه آلهتنا فأرسل أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إليهم قال: أريد منهم كلمة واحدة لو قالوها دانت لهم العرب والعجم. فقالوا عشر كلمات فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قولوا لا إله إلا الله. فرفضوا ذلك.

(٤) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الحج باب التلبية عن ابن عباس جزء (٨) ـ صفحة (٩٠).

وزجرهم كما أمرنا بحد الزاني والسارق فإن قلت أهل الجاهلية يقولون في أصنامهم أنها تقربهم إلى الله زلفى كما يقوله القبوريون ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله كما يقوله القبوريون وأجابوا أنه لا سوى فإن القبوريين قائلون لا إله إلا الله ولو ضربت عنقه بخلاف الوثني فإنه امتنع من قول لا إله إلا الله حتى لو ضربت عنقه لأنهم يجعلون الأوثان آلهة أربابا من دون الله بخلاف من اعتقد في الأولياء النفع والضر فإنه كفر عملي ثم إنه وافق في تكفير الساجد لغير الله[١] وساب الرسول صلى الله عليه وسلم[٢] وغيرهما وقال أنه يضاد أصل الإيمان وهذا تلخيص ما ذكره وارتضاه غيره من هذه القاعدة التي منشأها من هيبة السواد لعموم البلوى بهذه البلية وليس السواد الأعظم إلا أهل الحق وإن قلوا وسأشير إلى تناقض هذا القول وسقوطه.

ولولا أنه قد قيل لكان حقيقيا بالإهمال وليس من شرط العالم أن يكون قوله صحيحا كله ولو كان من الصديقين[٣] فليس ذلك إلا للنبي

---

(١) حكم السجود لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة قال تعالى ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾.

(٢) حكم ذلك كفر وقد ألف ابن تيمية في ذلك كتابا سماه السيف المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٣) الصديقين: هم أعلى درجة ومقام من الشهداء، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم) قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: (بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) أخرجه البخاري ومسلم عن حديث مالك.

صلى الله عليه وسلم وقد أخرج الخرائطي[١] أن عيسى عليه السلام قال: خذ الحق من أهـل البـاطـل ولا تأخـذ الباطل من أهل الحق كونهم منتقدين الكلام كي لا يجوز عليكم الزيوف والجواب عن بيان تناقضه في هذا الكلام بأنه صرح بأن هؤلاء يعتقدون النفع والضر في غير الله كأهل الأصنام ثم يقول هم مثبتون التوحيد لله فأي توحيد لله أثبتوه وقد أثبتوا مع الله مالكا للنفع والضر وإلا لما سألوه وهذا كفر إعتقادي نشأ منـه الكفـر العملي كالدعاء لغير الله والتقرب بالذبح إذ لا يدعي ولا يخاف ولا يتقرب إليه بالذبح ونحوه إلا من يملك النفع والضر كما مر لنا في هذه الأبحاث المسددة المربوطة بأدلة الكتاب لا المقرونة بهيبة الأكثـر الـذين نفى الله عنهم الإيمـان في قولـه ﴿**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**﴾[٢] فإن من يملك الضـر والنفـع فإنـه المعبـود حقا والمعبود لابد أن يكون مالكا للنفع والضر والجواب بيان تناقضه في قوله أن عباد الأصنام جعلوا لله اندادا بخلاف جهلة المسلمين الذين اعتقدوا في أوليائهم النفـع والضر فإنهم مقرون لله بالوحدانية وإفراده بالألوهية انتهى. أقول قد صرح في رسالة تطهير الاعتقاد أنهم جعلوا لله اندادا كمـا سيأتي[٣] النـد هو النظير والمثيل والشبيه والكفار الذين بعث الله إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فمنهم من هداه الله ومنهم من حقت عليه الضلالة يعلمون أن الأنداد لم يكن نظيراً لله ولا مثله في الذات

---

(١) الخرائطي أبوبكر محمد بن جعفر الخرائطي سكن الشام وحدث بها له مؤلفات كثيرة توفي عام ٣٢٧هـ.

(٢) سورة يونس آية (١٠٣).

(٣) أي في رسالة تطهير الاعتقاد.

ولا أنها شاركت في خلق السموات والأرض[١] والإحياء والإماتة والرزق وإنما اعتقد هؤلاء الضلال من ملك النفع والضر وأنها تقربهم إلى الله زلفى[٢] فطلبـوا منهـا ما لا يقدر عليه إلا الله زعما منهم أنهم ينفعون ويضرون فقد اتخذوهم شركاء وأولياء يحبونهم كحب الله ونفرد الله بملك النفع والضر مما علم في القرآن وقد تقدم ذكر بعض الآيات وجاءت به الرسل كلهم ومنه تنشأ العبادة لله وهؤلاء الكفار يقولون هم يملكون النفع والضر وأنهم يسمعون دعائهم[٣] فقد أثبتوا لهم ما علم أن القرآن نطق بخلافه وبعثت الرسل بهدمه وأباحت دماء أهله فقد ردوا صريح القرآن ما نفى عنهم الإيمان فإن كان إيمان كفار قريش الذين قال الله فيهم: ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ فنعم ولا كرامة لهم في هذا الإيمان. فقد كان أبوجهل وأشياعه من كفار العرب يؤمنون كهذا الإيمان فأي ألوهية أفردوها وقد تقدم أن الألوهية معناها عبادة وعبودية وقد أثبتوها لغير الله فدعوا غير الله والدعاء هو العبادة وفيه من الإفتقار والخضوع والتخشع ما ليس في غيره من العبادة والتقرب بالذبح عبادة وقد فسروا قوله تعالى: ﴿**ونسكي**﴾ بالذبح فمن فعل هذا لغير الله فقد عبده مع

---

(١) قال تعالى: ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات والأرض إءتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾ سورة الأحقاف آية (٤).

(٢) زلفى أي قربى. قل تعالى: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا زلفى﴾ الزمر آية (٣).

(٣) الأصنام لا تسمع دعائهم لأنها إما جماد أو أموات أو ملائكة مشغولين بطاعة ربهم ولو سمعوا على سبيل الغرض والتقدير لم يستجيبوا لأنهم لا يملكون شيئا ولا يرضى أكثرهم بعبادة من غيره قال تعالى: ﴿إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾ فاطر آية (١٤).

الله[١] والكفر لحقيقة ومعناه لا للفظه ومسماه والجواب قوله فالذي أتوه من تعظيم الأولياء كفر عملي[٢] لا اعتقادي فالواجب تعريفهم وزجرهم إلى أن قال فإن قلت أهل الجاهلية يقولون في أصنامهم أنهم يقربونهم إلى الله زلفى كما يقوله القبوريون وأجابوا أنه لا سوى فإن القبوريين قائلون لا إله إلا الله بخلاف الوثني فإنه امتنع من قول لا إله إلا الله . . . الخ .

أقول قد صرح في رسالة تطهير الإعتقاد أن هؤلاء لا يعرفون حقيقة الإسلام ولا ماهية التوحيد فصاروا كفارا أصليا وأن قولهم لا إله إلا الله لا ينفعهم مع الإلتزام[٣] لمعناها وسيأتي كلامه إن شاء الله بلفظ بأبسط من هذا وأما قوله أن تعظيم الأولياء كفر عملي لا إعتقادي[٤] فقد جمعوا بين كِفر الإعتقاد وهو إعتقاد النفع والضر في غير الله وبين كفر العمل الناشيء عن كفر الإعتقاد وهو تعظيم الأولياء بدعائهم والتقرب بالذبح إليهم وغير ذلك من أنواع العبادة وقد تكرر له في رسالته هذه وأصرح

(١) حكم الذبح لغير الله تعالى شرك أكبر. قال تعالى: ﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ الأنفال آية (١٦٢).

(٢) هذا ليس من الكفر العملي فالكفر العملي هو: كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر مع بقاء اسم الإيمان على عامله كقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) أعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي، صفحة (١٤٩).

(٣) انظر تطهير الاعتقاد لمحمد بن إسماعيل الأمير.

(٤) كما دافع المؤلف هنا ورد على ابن الأمير كذلك أيضا دافع الإمام الشوكاني ورد على ابن الأمير هذا القول إذ يقول في كتابه الدر النظير ومن جملة الشبه التي عرضت لبعض أهل العلم ما جزم السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله تعالى في أحد كتبه فإنه قال «إن كفر هؤلاء المعتقدين في الأموات هو من الكفر العملي. انظر الدر النظير للشوكاني صفحة (٣٢) وهذا يعتبر من الكفر الإعتقادي.

منها كلامه في تطهير الإعتقاد وكلامه في الرسالتين يدور على أنه قبل التعريف من كفر دون كفر وأنه بعد العلم كافرا كفرا أكبر وانظر في قوله في هذه الرسالة بخلاف جهلة المسلمين ليدل على أن من بلغه الحكم حكمـه غير ذلك وقد صرح في تطهير الإعتقاد أنه بعد التعريف كافر أكبـر[١] وأقـول اعلم أنه ليس الصغر والكبر في الكفر مأخوذ من العلم والاعتقاد إنما الكبر والصغر مأخوذ من الكتاب والسنة[٢] وقد وافقوا في مرتكب الذنوب من العملي كما تقدم في تكفير الساجد لغير الله وساب النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك جوابه أعني السيد محمد في مسألة الـذبائح وقد سئل عن قوله تعالى وما أهل لغير الله به وعن ذبح أهل الطواغيت وذبح الرعية.

لبيارق السلطان تعـظيمـا لهـا وكما يذبح لابن علوان مع مصاحبة التسمية إلى أن قال السائل له ويلوح من كلام النيسابوري ما يدل على التحريم حيث قال ولو أن مسلما ذبح ذبيحة وقصد بها التقرب إلى غير الله كان مرتدا وذبيحته ذبيحة المرتد هذا ملخص السؤال وأجاب السيد محمد إن كل مذبوح أهل به.

---

(١) انظر تطهير الإعتقاد.

(٢) قسم ابن القيم رحمه الله تعالى الكفر إلى قسمين أكبر وأصغر، الكفر الأكبر هو الوجوب لخلوده في النار. والكفر الأصغر موجب يستحقاق الوعيد دون الخلود مثل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث (اثنتان من أمتي هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة) رواه مسلم الكفر على الطعن في النسب والنياحة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لغير الله فهو محرم[1] لأن الذبح عبادة والعبادة لا تجوز أن تكون إلا لله وحده بنص ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾[2] وإن سمي عليه الذبح وإنه لا حكم للتسمية مع فساد القصد فإن التسمية لا تحل محرما وفرق بين الذبح للرضا لأهل السوق ونحوه وبين الذبائح على القبور فجعل الذبح لرضا أهل السوق ونحوه فعل محرم تحرم به الذبيحة وفاعله فاسق وجعل الذبح على القبور ردة[3] فإنه قال في هذا الجواب ما لفظه وأما قول النيسابوري كما نقله عنه السائل من أن الذابح لغير الله مرتد وذبيحته ذبيحة مرتد فإنه غير صحيح لأن الذابح لغير الله فاعل محرم وفاعل المحرم لا يصير بفعله مرتد يباح دمه وسبي أهله وأولاده وماله غايته أنه كشارب الخمر[4] فاسق ثم يعم لو خصى بهذا الذابح على القبور كما مثله السائل بالذبح لإبن علوان كان كلاما قريبا فإن الذبح لإبن علوان لا يكون إلا عن الإعتقاد أنه ينفع ويضر ويعطي ويمنع

---

(١) لأن النسك عبادة فإفراد الله به من لازم التوحيد وصرفه لغير الله شرك أكبر لغير الله يشمل صغير المذبوح وكبيره من الذباب إلى البدنة وكل مذبوح له من صالح أو طالح ويدخل فيه الذبح لملك أو نجم أو حجر أو طير أو حتى الميت انظر شرح كتاب التوحيد للشيخ حافظ أحمد الحكمي.

(٢) الآية من سورة الإسراء رقم (٢٣) والمعنى اعبدوا الله وحده ولا تعبدوا غيره ممن لا يملك ضرا ولا نفعا بل هو إما فقير محتاج إلى رحمة ربه يرجوها كما ترجوها فأما جماد لا يستجيب عنده دعاء. انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله صفحة (٥٢).

(٣) يعتبر هذا من الشرك الاكبر.

(٤) هناك فرق بين الذبح لغير الله ومرتكب الكبيرة فالذابح لغير الله مشرك بالله مشرك أكبر مخرج من الملة بخلاف مرتكب الكبيرة فإنه لا يخرج عن مسمى الإيمان لحديث لا يزني الزاني وهو مؤمن وأمره إلى الله إن شاء عذبه بقدر ذنبه وإن شاء غفر له إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر دون ذلك.

ويشفي المريض ويذهب عن الأبدان العليله الداء وهذا بعينه الذي كان عليه عباد الأوثان فإنهم كانوا يتحرون لها ويهتفون بأسمائها ويدعونها ويخـافونها ويرجونها ويطوفون بها وينادونها بمثل على الله وعليك كما يفعله الآن عباد القبور والقباب والمشاهد التي يجب هدمها ويجعلونهم لله اندادا وقد بسطنا هذا وطولناه في رسالتنا المسماه تطهير الإعتقاد عن ادران الإلحاد أنتهى المنقول من كلامه في هذا الجواب وسنورد كلامه في تطهير الإعتقاد ملخصا وما ذكره فيه كان في الرد عليه فإنه قال ما لفظه.

فصـــل

قد عرفت من هذا كله أن من اعتقدا في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جنى أو حي أو ميت أنه ينفع(١) أو يضر وأنه يقرب إلى الله ويشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع والتوسل إلى الرب إلا ما ورد من حديث فيه مقال(٢) في حق نبينا صلى الله عليه وسلم فإنه قد اشرك مع الله غيره واعتقد ما اعتقده المشركون في الأوثان فضلا عمن ينذر بماله يطلب بذلك ما لا يطلب إلا من الله من عافية مريض أو نيله

---

(١) إنتهى تطهير الإعتقاد صفحة (٣٠).

(٢) ولفظه أنه جاء أعمى إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ادع الله لي أن يعافيني قال إن شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه قال فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه وزاد النسائي في بعض طرقه فتوضأ فصلى ركعتين ثم ذكر في الترمذي قوله اللهم إني أسألك. . . الخ واخرجه ابن ماجه والحاكم في المستدرك والحديث ضعيف وغير صالح للإحتجاج. تحفة الذاكرين ص١٧٥.

لأي مطلب فإن هذا الشرك الذي كان عليه عباد الأصنام والنذور بالمال على الميت ونحوه والنحر على قبره والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينـه الـذي كان يفعله أهل الجاهلية وإنما أهل الجاهلية يسمون ما يعبدونه وثنا وصنما وهؤلاء يسمونه وليا وقبرا ومشهدا والأسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني فإن من شرب الخمر وسماه ماء ما شرب إلا خمرا وقد ثبت في الأحاديث أنه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها[١] وصـــدق صلى الله عليه وسلم قد أتى طوائف الفسقـة شرب الخمـر ويسمـونهـا نبيذا وأول من سمى ما غضب الله فيه بالأسماء المحبوبة إبليس لعنـه الله فإنه قال لأبي البشر آدم عليه السلام هل أدلك على شجـرة الخلد[٢] فسمى الشجـرة التي نهى الله آدم عن قربانها بشجرة الخلد تدليسا عليه بالاسم الذي اخترعه من عنده كما يسمي الظلمة ما يقبضـونـه من أمـوال عبـاد الله عدوانـا[٣] أدبـا كما يحرفونه في بعض المقبوضات باسم النفاعة وفي بعضها باسم السياقة فكذلك تسمية القبر مشهدا ومن يعتقدون فيه وليا لا يخرجه عن اسم الصنم والوثن إذ هم معاملون له معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بها طواف الحجاج لبيت الله الحـرام ويخـاطبون الميت بالكلمات الكفرية في قولهم على الله وعليك يهتفون بأسمائهم عند الشدائد.

---

(١) الحديث أخرجه النسائي كتاب الأشربة.

(٢) الآية رقم ١٢٠ من سورة طه وعن إبى الضحاك أن شجرة الخلد في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها أنظر تفسير ابن كثير ص٥٤٢ وذلك أن آدم حينما منع من أكل الشجرة المعينة في الجنة لم يزل به إبليس حتى أكل منها وكانت شجرة الخلد معنى بالتي من أكل منها خلدا المرجع السابق.

(٣) فيقولون أدب السرقة أدب التهمة.

وكل قوم لهم رجل ينادونه لجلب الخير ودفع الضر[١] وهو بعينه فعل المشركين في الأصنام كما قلنا في الأبيات النجدية[٢]:

أعـادوا بهـا معنى سواع ومثله ... يغـوث وود ليس ذلـك من ود
وقـد هتفـوا عنـد الشـدائـد باسمهـا ... كمـا يهتف المضـطر بالصمـد الفـرد
وكم ذبحوا في سوحها من نحيرة ... أهلت لغير الله جهلاً على عمد
وكم طائف عنـد القبـور مقبـل ... ويلتمس الأركـان منهن بالأيدي

فإن قال إنما نحرت وذكرت إسم الله عليه يقال له وإن كان النحر لله فلأي شيء قرنت ما ننحـره من باب مشهـد من تعتقد فيه هل أردت تعظيمه إن قال نعم فقل هذا النحر لغير الله وأنت تعلم يقيناً أنك ما أردت توسيخ باب المسجد وإلا أردت التعظيم له بذلك وكذلك دعائهم فهـذا الـذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب وقد يعتقدون في بعض فسقة الأحياء[٣] وهـو عاكف على الفضـائـح ويضم إلى ذلك دعوى الغيب ويجلب له إبليس جماعة قد عشعش إبليس في قلوبهم وفرخ يصدقون بهتـافـه ويجعلونـه نداً لرب العالمين ومثلاً قال فإن قلت افترى هؤلاء

(١) فأهل العراق والهند يدعون عبدالقادر الجيلاني وأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمـه يقولون يازيلعي يا ابن العجيل وأهل مكة والطائف يا ابن العباس وأهل مصر يا رفـاعي يا بدوي وأهل الجبال يا أبا طير وأهل اليمن يا ابن علوان وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وهذا قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب انظر تطهير الاعتقاد لابن الأمير ص٢٣.

(٢) (انظر ديوان ابن الأمير وكلمة الضر بإضافة من المحقق أي من قصيدة يمدح بها المؤلف الشيخ محمد ابن عبدالوهاب وأشاد بدعوته).

(٣) هذا هو الضلال المبين أن يعتقد الولاية في فاسق أو جاهل مخادع أو مضل ومسرف في العصيان إنتهى من تعليق مخمد عبدالمنعم خفاجي على الرسالة ص٢٣.

مشركون كالذين يعتقدون في الأصنام قلت نعم بل زادوا في الإعتقاد والإستعباد فلا فرق بينهم قال فإن قلت القبوريون يقولون نحن لا نشرك بالله ولا نجعل له نداً والإلتجاء إلى الأولياء والإعتقاد فيهم ليس بشرك قلت نعم يقولون بأفواههم وذالك جهل منهم بمعنى الشرك فإن تعظيمهم الأولياء ونحره لهم شرك وقد سمي الله الرياء شرك فكيف بما ذكرناه فهذا الذي يفعلونه بأوليائهم عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين.

ولا ينفعه قوله أنا لا أشرك بالله لأن فعله أكذب قوله فإن قلت هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلون قلت قد صرح الفقهاء في باب الردة أن من تكلم بكلمة الكفر وإن لم يقصد معناها فهو مرتد[1] وهذا دال على أنهم لا يعـرفون حقيقة الإسلام ولا ماهية التوحيد فصاروا كفارا أصليا فإن من حق الله على عباده إفراد العبادة لله ومن نادى الله ليلاً ونهاراً سراً وعلانية وخوفا وطمعا ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة فإن الدعاء من العبادة قال فإن قلت فإذا كانوا مشركين وجب السلوك فيهم ما سلك رسول الله ﷺ في المشركين قلت إلى هذا أذهب طائفة من أهل العلم فقالوا يجب دعاؤهم إلى التوحيد وإبانة أن ما يعتقدونه لا يغني غنهم من الله شيئا وأن هذا.الإعتقاد فيهم شرك لا يتم الإيمان بما جاءت به الرسل إلا بتركه والتوبة منه فإن رجع وأقر حقن دمه وماله وذريته ومن أصـر فقـد أباح الله منه ما أباح لرسوله من المشركين فإنهم قبل

(١) وتحصيل الردة بأمور:

(أ) بالقول كصيت الله تعالى أو رسوله أو ملائكته أو أدعى النبوة.

(ب) أن يجعل له شريكا قال تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

(ج) بالفعل كالسجود للصنم وغيره.

التعريف على جهالة وضلالة كافرون كفرا أصغر لا يبح دما ولا مالاً ولا ذرية وهذا الذي سماه السلف كفرا دون كفر إلى أن قال فإن أصروا تعين جهادهم وحل فيهم ما أحل الله لرسوله في المشركين إلى أن قال فإن قلت هؤلاء قد قالوا لا إله إلا الله وقد قال ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق وهؤلاء يصلون ويصومون ويزكون ويحجون قلت قد قال رسول الله ﷺ إلا بحقها وحقها إفراد الإلهية والعبودية لله تعالى والقبوريون لم يفردوا هذه العبادة فلم تنفعهم كلمة الشهادة فإنها لا تنفع إلا مع إلتزام معناها[1] ولم تنفع اليهود لإنكارهم بعض الأنبياء[2] وكذا من جعل غير من أرسله الله نبياً لم تنفعه كلمة الشهادة كبني حنيفة كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا ﷺ رسول ويصلون ولكن قالوا أن مسيلمة نبي فقاتلهم الصحابة وسبوهم فكيف بمن يجعل للولي خاصية الإلهية وينادونه للملمات إلى أن قال فلم تنفع هذه الكلمة بمجردها اليهود ولا نفعت الخوارج مع العبادة التي يحتقر الصحابة عبادتهم إلى جنسها بل قال ﷺ لإن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد فثبت أن مجرد قول التوحيد غير مانع شرك من قالها لارتكاب ما يخالفها من عبادة غير الله إلى أن قال فإن قلت القبوريون يقولون لا نعبد هؤلاء ولا نعبد إلا الله وحده قلت هذا جهل

---

(١) فمعنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله فهي تنفي جميع ما يعبد من دون الله وثبت العبادة لله .ولشهادة لا إله إلا الله شروط سبعة العلم واليقين والقبول والإنقياد والصدق والإخلاص والمحبة وقد جمعها الشيخ حافظ في هذين البيتين:

العلم واليقين والقبول ... والإنقياد فادر ما أقول
والصدق.والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبه

(٢) فسماهم الله كفاراً قال تعالى ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين﴾.

بمعنى العبادة فرأسها وأساسها الإعتقاد وقد حصل في قلوبهم ذلك بل يسمونه معتقداً ويضعون له ما تفرع من الإعتقاد من ندائهم بالإستعانة والحلف والنذر وقد ذكر العلماء أن من تزي بزي الكفار صار كافراً ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافرا فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولاً وفعلاً إلى أن قال فلا ينذر أحد من ماله شيئا إلا معتقدا بجلب نفع أكثر منه ولو عرف الناذر بطلان ما أراه ما أخرج درهما وما كانت النذور للأصنام والأوثان إلا على هذا الأسلوب وأما القابض للنذر فهو حرام عليه قبضه لأنه أكل مال الناس بالباطل وتقرير له على شركه ولا يخفى حكم الراضي بالشرك انتهى ما ذكره في رسالة تطهير الإعتقاد عن أدران الإلحاد بتلخيص وإنما نقلت كلامه في الرسالتين لأنه بلغ أن من أشرب في قلبه حب الجبت والطاغوت ارتاح إلى ما ذكره في الرسالة الأولى ورآه أنه قد فاز بالقدح المعلى وأما المناقشة على السيد محمد الأمير[1] فهي في جعله الكفر كفراً أصغر مع الجهل وبعد العلم من الكفر الأكبر تجري فيه أحكامه فإن الكبر والصغر لذات الذنب وأما سقوطه العقوبة للجهل فهو أمر آخر والظاهر والله أعلم أن الذي حمل هؤلاء على قول بعضهم بكونه من كفر دون كفر مطلقا أو مع الجهل عموم البلوى بهذه المصيبة في جميع بلاد الإسلام وفي جملة هؤلاء غالب الملوك والرؤساء والجنود وذوي الشوكة وفي كثيرهم مالا يحصى من أهل العلم فمن عدل عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعها لنفسه اشتغل بها عن أوضاع الله ورسوله وصعب على كثير من العلماء القول بالكفر الأكبر الذي صرح به

(١) أي العلامة محمد بن إسماعيل الأمير.

الكتاب والظاهر والله أعلم أن لعله عموم البلية التي ذكرناها قال أحمد بن محمد بن حجر[١] الهيثمي في شرح الأربعين النووية على الكلام على قول النبي ﷺ لابن عباس «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك» فقال وبعد الكلام ما لفظه ونعوذ بالله من إعتقاد نفع أو ضر في غيره تعالى فإنه هو عن الشرك الأصغر بل الأكبر كما يخفى إنتهى كلامه[٢] وهو كما تراه فإنه قال أولاً هو عين الشرك الأصغر ومازال منه والله أعلم إلا أنه في أول الأمر هاب السواد لعموم البلوى لهذه المصيبة ولما صرف النظر إلى الدليل وشهد ضرورة وحدانية الله في التفرد بالضر والنفع وفقه الله للحق فقال بل الأكبر كما لا يخفي.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن حجر الوائلي السعدي الهيثمي ثم المكي وولد في عام ٩٠٩ ونشأ في بلدة وحفظ القرآن قم إنتقل إلى مصر وحفظ بها بعض المختصرات عن أبي الحسن البكري وغيره له مؤلفات كثيرة منها تحفة المحتاج شرح المنهاج توفي عام ٩٧٣ انظر البدر الطالع للشوكاني جـ١ ص١٠٩.

(٢) أي كلام الهيثمي في شرح الأربعين وتوجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب في جامعة أم القرى.

فصـــل

وقد أخبر الرسول ﷺ أن هذه الأمة تحذوا حذو من كان قبلها من أهل [الكتاب][١] وفارس والروم وقد أخبر الله عنهم أن منهم من آمن ومنهم من كفر فهذه الأمة كذلك يكون منهم من آمن ومنهم من كفر وقد تقدم من حديث عياض بن حمار عن مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال أن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا لم يبقى منها على توحيد الله إلا بقـايا من أهـل[٢] الكتاب فكذلك هذه الأمة وهي الـطائفة التي ذكر النبي ﷺ أنه لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله[٣] وهم على ذلك وسيأتي إن شاء الله وقد قال الله تعالى ﴿**كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثـر أمـوالاً وأولاداً فاستمتعـوا بخـلاقهم فاستمتعتم بخـلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا**﴾[٤] قال ابن عبـاس ما أشبـه الليلة بالبـارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بني إسرائيل شبهنـاهم والـذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل رجل جحر ضب

(١) في الأصل الكتاب والصواب ما اثبتناه.

(٢) الحديث قد تقدم الكلام عنه.

(٣) سيأتي الكلام عليه تقريبا.

(٤) الآية رقم (٦٩) من سورة التوبة ومعناها ان الله تعالى شبه المنافقين بالكفار الذين كانوا من قبلهم والمعنى فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم من الأمم في ترك بالمعروف والنهي عن المنكر ومعنى خلاقهم أي نصيبهم الذي قدره الله لهم من ملاذ الدنيا.

لدخلتموه[١] رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وفي رواية الحاكم عنه مرفوعاً لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ لتأخذن كما أخذت الأمم من قبلكم ذراعاً بذراع وشبراً بشبر وذراعاً بباع حتى لو أن أحداً من أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قال أبوهريرة إقرأوا إن شئتم ﴿**كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة**﴾ قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم وأهل الكتاب قال فهل الناس إلا هم[٢] وقال أبو هريرة الخلاق الدين وله شاهد في الصحيح من روايته عن النبي ﷺ لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي ما أخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع فقيل يا رسول الله كفارس والروم فقال ومن الناس إلا أولئك[٣] وهو في الصحيحين ومسند أحمد من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ بلفظ لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه وقالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن[٤] رواه الطبراني عن سهل والحاكم عن أبي هريرة لكن أبى الأكثر من الإقرار بوقوع مشابهة هذه الأمة لمن قبلها من أهل الكتابين وفارس والروم وإذا تلوت عليهم الآيات والأحاديث كان جوابهم: فما تقول في فلان وفلان وقد كان فلان وفلان

---

(١) انظر الحديث أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره جـ٦ ص١٢١.

(٢) الحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره جـ٦ ص (١٢٢).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم عن أبي هريرة ج٤ ص٢٦٤.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإعتصام باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم ج٤ ص٢٦٤ عن أبي سعيد وأخرجه ابن ماجه باب إفتراق الأمم عن أبي هريرة رضي الله عنه رقم الحديث ٣٩٩١.

وحققوا بهذا الجواب مشابهة من قبلهم في قوله ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آبائنا**﴾ وقد تفضل الله على هذه الأمة بحياطة هذا الدين وحفظه ففي صحيح مسلم عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم وخالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك[١] وفي رواية معاوية وهم ظاهرون على الناس[٢] وفي رواية أخرى لايزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون[٣] وفي رواية أبي هريرة لاتزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله عز وجل لا يضرها من خالفها[٤] وفي رواية الحاكم عن عمر لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة[٥] وأخرج مسلم والحاكم عن جابر ابن سلمة قال قال رسول الله ﷺ لايزال هذا الدين قائماً يقاتل عليه المسلمون حتى تقوم الساعة وفي رواية عمران بن حصين عن أبي داوود لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناواهم حتى يقتل آخرهم المسيح الدجال

---

(١) الحديث أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب قوله ﷺ (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم) عن ثوبان هـ٢ ص٢٣٧ وأخرجه أحمد في مسنده جـ٥٨ ص٥٧ ص٢٧٩٢.

(٢) هذه الرواية رواها أحمد عن معاوية ورواها مسلم جـ٣ ص٢٣٨.

(٣) أخرجه البخارى جـ٤ ص١٨٧ ومسلم كتاب الجهاد باب (لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق) عن المغيرة جـ٣ ص٢٣٧ وأحمد جـ٤ ص ٢٤٨/٤ ـ ٢٥٢.

(٤) أخرجها ابن ماجه عن أبي هريرة حـ١ والحديث رقم ٧ ص٥.

(٥) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند عن جابر ابن سمرة وأخرجه مسلم في صحيحه جـ٣ ص٢٣٨ عن جابر بن سمرة.

﴿ولولا فضل الله على الناس لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾[١]

فصـــل

واعلم أن العبادة[٢] جنس يدخل تحته أنواع[٣] وقد أشرنا إليها على جهة اللف[٤] وسنذكر لبعض أنواعها فصولاً نذكر في الفصل الأول منها الأمر بعبادة الله بذلك النوع منها بأن العبادة لله فبناها على الأمر ونذكر

---

(١) رواه الإمام أحمد ص٤ ص٤٢٩ - ٤٣٧ ورواها أبو داوود جـ (١) ص٣٨٩ قال فرعون المعبـود معنى على الحق على تحصيله وإظهـاره وظـاهرين غالبين منصورين على من عاداهم حتى يقاتل آخرهم يريد عيسى والمهدي يقتلان الدجال والمراد بالطائفة أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.
انظر عون المعبود جـ٧ ص (١٦٢، ١٦٣).

(٢) العبادة: إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال الباطنة والظاهرة وهي في اللغة: الذلة يقال طريق معبد.
انتهى تيسير العزيز الحميد صفحة ٤٦.

(٣) للعباد أنواع كثيرة منها الإسلام، والإيمان، والإحسان ومنها الخوف والرجاء والدعاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والإستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواعها المتعددة.
انتهى حاشية الثلاثة الأصول صفحة (٣٤).
وقـال النعمي أن العبادة ذات تنوع ولا يكاد عباد القبور ينفصلون عن أبي صنوفها انظر معارج الألباب ص٢٥٧.

(٤) اللف والنشر: أن يذكر متعدد ثم يذكر ما لكل من لافراده شائعاً من غير تعيش، اعتماداً على تصرف السامع في تمييز ما لكل واحد منهما ورده إلى ما هو له. معجم البلاغة - بدوى طبانة ٤٨٥/١.

النهي والتحذير والترهيب عن صرف ذلك النوع من العبادة لغير الله وقد أغنى عن ذلك قوله تعالى ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله**﴾[١] ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**﴾[٢] ﴿ **لا نعبد إلا الله**﴾[٣] وإنما النص على نوع تلك العبادة لا بخصوصها وفيها شرْحُ صدر من شرح الله صدره للإسلام.

---

(١) الآية رقم (٥) من سورة البينة.
(٢) الآية رقم (٢٣) من سورة الإسراء.
(٣) الآية رقم (٦٤) من سورة آل عمران.

فصل في الدعاء

قال الله تعـالى ﴿ادعـوني استجب لكم إن الـذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾(١) وقال تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفيـة إنـه لا يحب المعتـدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾(٢) وهذا شامل لنوع الدعاء دعاء العبادة ودعاء المسألة فإن الدعاء في القرآن يراد به دعاء المسألة تارة ويراد به دعاء العبادة تارة ويراد بها مجموعها تارة وهما متلازمان فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضـره أو دفعـه وكل من يملك الضر والنفع حقاً فإنه هو المعبود حقاً والمعبود لابد وأن يكون مالكا للنفع والضر فهو بدعاء النفع والضر ودعاء المسألة ويدعى خوفا ورجاء دعاء العبادة فالنوعان متلازمان ولكنه في قوله تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾ ظاهر في دعاء المسألة وهو متضمن

---

(١) الآية رقم ٦٠ من سورة غافر والمراد بالدعاء التوحيد والعبادة وقيل المراد بالدعاء السؤال بجلب النفع أو دفع الضر ومعنى داخرين صاغرين أذلاء وفي الآية وعيد لمن استكبر عن دعاء الله.

(٢) الآيتين رقم ٥٥، ٥٦ من سورة الأعراف في هاتين الآيتين آيات توحيد الألوهية وهو إفراد الله تعالى بالعبـادة وروحهـا ومخها الدعاء والمعنى أدعوا ربكم ومدبر أموركم متضرعين مبتهلين إليه تارة ومسرعين تارة أخرة ﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ أي في الدعاء ومن شر أنواع الإعتداء في الدعاء التوجه فيه إلى غير الله لأن الحنيف من يدعوا الله وحده فلا يدعوا معه غيره ومن دعاء غير الله فيما يعجز فقد اتخذه إله انتهى المنار لمحمد رشيد رضا جزء (٨) صفحة ٤٥٨.

وقال تعالى ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ وفي الحديث ليس أكرم على الله من الدعاء وفي الحديث الدعاء مخ العبادة.

لدعاء العبادة لذا أمر بإخفائه وأسراره والدعاء هو مخ العبادة ولبها وفيه من العبودية ما ليس في غيره من العبادات واخرج الأربعة والحاكم وابن حبان في صحيحهما واللفظ للترمذي وقال حسن صحيح عن النعمان بن بشير قال سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم على المنبـر يقول (الدعاء هو العبادة)[1] ولذا أنكر الله غاية الإنكار على من دعا من دونه من لا يستجيب له فقال تعالى ﴿**ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون**﴾[2] وقال تعالى ﴿**ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين**﴾[3] وقـال تعـالى ﴿**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير أن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير**﴾[4] وكان أهل الشرك يدعون مع الله غيره فإذا جاءت الحاجات والشدائد أخلصوا الدعاء لله تعالى كما قال ﴿**فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذ هم يشركون**﴾ أي في الدعوة وغيرها وقد تقدم بعض

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي ج٨ ص٣٠٨ كتاب التفسير عن النعمان بن بشير رضي الله عنه واخرجه ابن ماجه ج٢ ص١٢٥٨ كتاب الدعاء باب فضل الدعاء عن النعمان بن بشير ورقم الحديث ٣٨٢٨ كما أخرجه الإمام أحمد وأبوداود.

(٢) الآية رقم (٥) من سورة الأحقاف.

(٣) الآية رقم ١٣ ـ ١٤ من سورة فاطر، الآية رقم ٦٥ من سورة العنكبوت.

(٤) ولقد بلغ من شرك هذا الزمان في بعض بلدان اليمن أنهم يشركون في الرخاء والشدة ولقد حصل من بعض عباد القبور الإفراط في دعائهم إذ يقول أحدهم نظرة يا ولى الله أقحطت الأرض وهلك العيال وتسلق العدو وعقمت المرأة وعصفت الريح الغارة الغارة والعجل العجل اغثنا مددك وصاحب القبر رهين التراب في انتظار الحشر لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً (معارج الألباب في منهج الحق والصواب).

هذا فتوحيد الله لا يتم إلا بأن يكون النداء في الشدائد والرخاء له وحده فمن دعا مع الله غيره فقد جعله معه شريكا واتخذه إلاها لأن الدعاء عبادة بل هو مخها ولبها والإله المألوه أي المعبود فمن طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله فقد عبده مع الله وصار بذلك مباح الدم والمال والذرية لدعاء من لا يملك ضرا ولا نفعا وقد علم بالضرورة تفرد الله بملك الضر والنفع فالسائل لغير الله مال يقدر عليه إلا الله قدر وما علم من الدين بالضرورة ولمناقضته لا إله إلا الله لأنه قد تقدم أن معناها لا معبود إلا الله والدعاء عبادة فمن دعا غير الله مع الله فقد عبده مع الله ولا يصح إسلام عبد لا يقول لا إله إلا الله والكفر بما يعبد من دون الله فأخرج أحمد ومسلم وابن حبان عن أبي مالك الأشجعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله وحسابه على الله.

فشرط الحرمة للمال والدم شرطين قول لا إله إلا الله والكفر بما يعبد من دون الله فلو قال لا إله إلا الله وعبد غير الله لم يحرم ماله ولا دمه فإن الجزاء المترتب على شرطين لا يحصل على أحدهما بدون الآخر وفي الصحيح مرفوعا أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله وفي رواية في الصحيح أيضه أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابها على الله[1] وفي أخـرى وأن يستقبلوا قبلتنـا ويأكلوا ذبيحتنـا ويصلوا

---

(١) الحديث أخرجه البخارى ج١ ص١٣ كتاب الإيمان باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة.

صلاتنا[1] وفي رواية حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به[2] وهذه الرواية أيضا له ثابتة عن رسول الله ﷺ وأعظم حق الاخلاص التوحيد لله تعالى ونفي كل معبود سواه بل لا يصح له ذلك الأمر فقول لا إله إلا الله لا يمنع شرك من أشرك بالله مع قولها أورد ضروريا من الدين كامتناعه عن ذبيحتنا أن يكون كافرا بذلك لتكذيبه الرسل.

فصـــل

فجعل الشرك مع الله هو أعظم أنواع الفساد الذي نهى الله عنه في قولـه ﴿**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**﴾[3] فالدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره[4] هو أعظم الفساد في الأرض ولا صلاح لها ولأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود وأن تكون الدعوة له لا لغيره والطاعة والاتباع لرسوله ليس لغيره وغيره إنما يطاع إذا أمر بطاعة الله والرسول ﷺ فإذا أمر بمعصيته وخلاف شرعه فلا سمع ولا طاعة فالله سبحانه إنما أصلح الأرض برسوله ودينه[5] وبالأمر بتوحيده ونهي عباده عن افسادها بالشرك ومخالفة رسوله.

(١) أخرجه الإمام أحمد ج١ ص٩٨ باب (حكم الإقرار بالشهادتين عن أنس بن مالك).

(٢) الحديث أخرجه مسلم ج١ ص١٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الآية رقم ٥٦ من سورة الأعراف.

(٤) فعبادة غير الله والدعوة إلى غيره هو أعظم فساد في الأرض بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك ومخالفة أمره فالدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره مطاع متبع غير رسول الله ﷺ من أعظم الفساد في الأرض ولا صلاح للأمة إلا أن يكون الله وحده هو المعبود والدعوة له لا لغيره والطاعة والإتباع لرسوله ﷺ إنتهى تيسير العزيز الحميد ص٥٠٣.

(٥) فإصـلاح الله لحـال البشـر بهـداية الـدين وارسـال الرسل وكمال ذلك ببعثه خاتم النبيين والمرسلين محمدﷺ انتهى تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج٣.

فصـــل

ولما كان أثر العبودية في دعاء المسألة من أظهر الأمور لما فيه من الـذل والفقـر والمسكنة والخضوع الدال على أقصى مراتب الخضوع وذلـك لا يصلح إلا لله ولا ينبغي لسـواه وقد أثنى الله على الذين لا يسألون الناس إلحافاً(١) وحرم المسألة على من سأل الناس أموالهم وعنده ما يغنيه ولم تحل المسألة إلا لإحدى ثلاث لما في حديث قبيصة(٢) وهذا فيمن سأل النـاس في الشـرع وذلك لما في المسألة عن مالك الضر والنفع إلى من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إلا بالله فحرم الله المسألة على غير الثلاثة المذكورين في حديث قبيصة وهم رجل تحمل حمالة ورجل أصابته جائحة في ماله ورجل أصابته فاقة وذلك لأن في المسألة نوعـا من العبـودية لبـذله سؤاله وفقره واستعطافه لغير الله وذلك هضم لجانب التوحيد فكيف بمن سأل غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله أليس قد شبهه بالخالق وجعل ما لا يملك مثقال ذرة شبيهاً بمن له الأمر كله.

---

(١) الآية رقم ٢٧٣ من سورة البقرة ومعنى إلحافاً هو سؤال الناس بإلحاح فالإلحاح هو الإلحاح في السؤال وظاهر العبارة نفي سؤال الإلحاح لا مطلق السؤال تفسير المنار ج٣ ص٨٩.

(٢) الحديث رواه أحمد وأبوداوود والترمذي وابن ماجه من حديث أنس أنه قال المسألة لا تحل إلا لثلاثة لذي فقر مدقع ولذي غرم مفظع أو لذي دم موجع انتهى المرجع السابق.
وللحديث روايات كثيرة فعلى هذا السؤال محرم في الإسلام لغير ضرورة ملحة كما في هذا الحديث وغيره.

باب
اختصاص السجود والركوع لله

قال الله تعالى ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾[١] وقال تعالى حاكيا عن هدهد سليمان ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون[٢] وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وأفعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾[٣] فالسجود والركوع من العبادة أمر الله بها عبادة وهي لا تنبغي إلا لله تعالى وفي السجود من الخضوع والتذلل ما ليس في غيره من العبادات البدنية فإن فيه وضع الجبهة بين يدي الرب ولذا أمر الله

---

(١) الآية رقم ٣٧ من سورة فصلت وفي هذه الآية تحريم السجود للشمس والقمر لأن السجود لهما من الشرك الأكبر والآية نزلت في أناس يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون في السجود لها سجودا لله فنهوا عن ذلك انتهى فتح القدير للشوكاني ج٤ ص٥١٨.

(٢) الآيتان رقم ٢٤ و٢٥ من سورة النمل والمعنى أنهم يعبدون الشمس والقمر تاركين عبادة الله وزين لهم الشيطان عبادة الشمس والقمر وسائر العبادات الكفر به والقوم مجوساً وقيل زنادقة. انظر فتح القدير ج٤ ص١٣٣.

(٣) الآية رقم ٧٧ من سورة الحج والمعنى صلوا الصلاة المشروعة وخصة الصلاة بالذكر لانها من أشرف العبادات ثم عمم فقال واعبدوا ربكم أي افعلوا جميع أنواع العبادة التي أمركم الله بها وأفعلوا الخير أي كل ما هو خير وقيل المندوبات وهذه الأمور المذكورة سبب في فلاح الإنسان انظر فتح القدير ج٣ ص٤٧.

بالسجـود له ونهى عن السجـود لغيره وأخـرج أحمـد[١] وقـال الحافظ المنذري بسند جيد ورواته ثقات عن أنس بن مالك وفيه قصة الجمل الـذي استصعب على أهله من الأنصـار فمنعهم ظهره وفيه فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل فقال له أصحابه يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك قال لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. وفي حديث قبس بن سعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فأنت أحق أن نسجد لك فقال لي أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له فقلت لا فقال لا تفعلوا رواه أبوداوود[٢] وفي حديث معاذ فسجد للنبي ﷺ لما رآهم يسجدون لأساقفتهم فقال له رسول الله ﷺ لو كنت آمرا أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها رواه ابن ماجه[٣] وابن حبان في

---

(١) الحديث أورده الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أيضا ولفظه أن النبي ﷺ كان في نفر من المهاجرين فجاء بعير فسجد فقال أصحابه يا رسول الله تسجد لك البهائم الحديث موجود في الفتح الرباني للساعاتي ج١٦ ص٢٢٦ ، ٢٢٧ وورد أيضا رواة متعددين أما رواية الحديث فقد أورده الحـافظ المنـذري في الترغيب والترهيب وقال رواه أحمد بإسناد جيد ورواته ثقات مشهورون والبزار بنحوه ورواية النسائي مختصرا وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة باختصار انظر الفتح الرباني للساعاتي ج٢٢ ص٥١ وفي نقل المؤلف للحديث بعد التصرف.

(٢) الحديث أخرجه أبوداوود كتاب النكاح باب حق الزوج على امرأته عن قيس بن سعيد رضي الله عنه الحديث ٢١٢٦ انظر سنن أبي داوود مع العون ج٦ ص١٧٧ . والحيرة بلدة بالكوفة والمرزبان الفارس الشجاع وقد أطال الكلام ابن القيم رحمه الله فليرجع إليه مع عون المعبود ص١٧٧ ص١٧١ ص١٧٩ ص١٨٠ .

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه عن عائشة انظر صحيح ابن ماجه للألباني ج١ ص٣١١ رقم الحديث ١٥٠٢، ١٨٥٢.

صحيحه ورواه الترمذي[١] وقال حسن صحيح[٢] عن أبي هريرة بهذا اللفظ وأخرج عبدالله بن حميد عن الحسن قال بلغني أن رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله فأنزل الله ﴿**وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة**﴾ إلى قوله تعالى ﴿**بعد إذ أنتم مسلمون**﴾ فالسجود فيه من الخضوع والتذلل الذي هو حقيقة العبادة ما ليس في غيره من العبادات البدنية ولذا قال رسول الله ﷺ (لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر) وفي أخرى (لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله) وينبغي للامتناع في القرآن الكريم كما قال تعالى ﴿**وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا**﴾ وقال تعالى ﴿**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**﴾[٣] وقد حكى الله تعالى قول الهدهد ﴿**وزين لهم الشيطان أعمالهم**﴾[٤] أي بالسجود للشمس وقوله ﴿**فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون**﴾ أي فصدهم عن الإخلاص في السجود لله وقد قدمنا أن من سجد لمخلوق وقال هذا ليس بسجود وإنما خضوع وإكرام أنه لا يخرج بهذا الاسم عن مسماه سجودا ولو سماه بما سماه.

---

(١) الحديث رواه الترمذي باب ما جاء في حق الزوج على المرأة ج٤ ص٣٢٣ رقم الحديث ١١٩٦ وقال الترمذي حديث حسن غريب وفي الباب عن معاذ بن جبل وسراقة بن مالك وعائشة وبن عباس وعبدالله بن أبي أوفى وأم سلمة وغيرهم.

(٢) الذي في الترمذي حسن غريب.

(٣) الآية ٦٩ من سورة يس.

(٤) الآية ٢٤ من سورة النمل.

فصـــل

وقـد جاء تسمية الـركـوع سجـود في قولـه تعالى ﴿وادخلوا الباب سجدا﴾[1] قال العوفي عن ابن عباس أي ركعا وقال سعيد بن جبير عن ابن عبـاس في قولـه تعالى ﴿وادخلوا الباب سجدا أي ركعا من باب صغير﴾[2] وأخرجه الحاكم من روايته وقد أخرج الترمذي وقال حسن وابن ماجـة عن أنس قال قال رجـل يا رسول الله الرجل منا يلقى أخاه أو صديقـه أينحني له قال لا[3] قال النووي وقوله أنحني له قال لا وهو حديث حسن لم يأت له معارض[4] ولا إلى مخالفته ولا نغتر بكثرة من يفعله ممن ينسب إلى علم أو صلاح فإن الاقتداء إنما يكون برسول الله ﷺ ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه﴾[5] وما نهاكم عنه فانتهوا وقال تعالى ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾.

---

(١) الآية رقم ٥٨ من سورة البقـرة والمراد بالسجود الركوع وهو سجود الإنحناء وقيل التواضع والخضـوع لأنـه لا يمكن الدخول حال السجود الحقيقي فلذا يستبعد أن يراد به السجود الحقيقي والمراد بالباب بيت المقدس وقيل غيره.

(٢) أي ضيق والرواية للحديث أوردها الشوكاني في فتح القدير ج١ ص٩٠.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن انظر تحفة الأحوذي جزء ٧ صفحة ٥١٤.

(٤) أما قول النووي ليس فيه معارضة فالحديث فيه معارضة وفيه ضعف لأن أحد رواته حنظلة بن عبيد الله قال يحيى تركته عمدا لأنه كان قد اختلط وضعفه الإمام أحمد وقال منكر الحديث وقال ابن معيض ليس بشيء تغير في آخر عمره وقال النسائي ليس بقوي وقال مرة ضعيف وقال له في الكتابين الترمذي وابن ماجه حديث واحد وهو ينحني بعضنا لبعض قال لاحسنه الترمذي انظر تحفة الأحوذي ج٧ ص٥١٤.

(٥) الآية رقم ٧ من سورة الحشر ومعناه أنه لا يؤخذ في التحليل والتحريم إلا ما أمر به الرسول ﷺ أو نهى عنه ويرد كل قول خلاف الوجهين.

فصل في التقرب بالذبح وهو من أنواع العبادات[(١)]

قال الله تعالى ﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي[(٢)] لله رب العالمين لا شريك له﴾ قال مجاهد النسك الذبح وقال الثوري عن السدى عن سعيد بن جبير قال ذبحي وكذا قال السدى والضحاك وهذا كقوله تعالى: **فصل لربك وانحر**﴾[(٣)] أي اخلص له صلاتك وذبيحتك فتكون صلاته ونسكه لله لا شريك له فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمره الله بالإنحراف عما هم فيه والإقبال لقصده ونيته على الإخلاص لله تعالى والنسك العبادة والناسك العابد وقد سمي الله الذبيحة نسكا في قوله تعالى: ﴿ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾[(٤)] من تسمية النوع باسم الجنس فجعله عوضا عن الصيام

---

(١) ما أصله عباده فإفراده لله لازم التوحيد وصرفه لغير الله شرك أكبر والذبح لغير الله شرك أكبر يدخل فيه صغير المذبوح وكبيره من الذباب إلى البدنة وكل مذبوح له من صالح أو طالح أو شجر أو حجر أو قبر إلى غير ذلك.

(٢) الآية رقم ١٦٢ من سورة الأنعام والمعنى أن كل ما أتيه في حياتي وأموت عليه من الإيمان والعمل الصالح كله لله وفي الآيتين أمر لنبيه ﷺ بأن يخبر ويبين المنحرفين عن توحيد الله من عبادة الأصنام لأن كل عمل يعمله من صلاة وذبح لله تعالى لا شريك له انتهى الدر النضيد ص٨٦.

(٣) الآية رقم ٢ من سورة الكوثر ومنها الأمر من الله لنبيه بأن يكون صلاته ونحره وجميع العبادات البدنية خالصة لله كما أن النحر هو من أعظم العبادات المالية فقد رمز به أن يكون خالصا لله دون غيره أ هـ المرجع السابق.

(٤) الآية رقم ١٩٦ من سورة البقرة المعنى أن من كان مريضا مرضا ينفعه فيه الحلق ويضره عدمه أو به أذى من حرج أو غيره إن حلق فدية من هذه الأجناس الثلاثة على التأخير كما في حديث كعب بن عجرة حمل إلى رسول الله ﷺ والقمل يتساقط على وجهه فأمره بالحلق والآية نزلت في كعب بن عجرة.

والإطعام وكلها عبادات قد جعل الله إراقة الدماء له تقوى فقال لن ينال الله لحـومهـا ولا دماءها[١] ولكن يناله التقوى منكم وذلك لأن التقرب بالذبح عبادة وهي لا تصلح إلا لله تعالى وحده لا شريك له لقوله تعالى **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾**[٢] **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾**[٣] فمن تقرب لغير الله بشيء من الذبائح كما تقرب لحجر أو شجر أو جني أو قبر فقد عبد مع الله غيره وأشرك مع الله غيره في ما هو خـالـص حـقـه وفي صـحـيـح مسـلـم ومسـنـد أحـمـد عـن عـلـي بـن أبـي طـالـب رضـي الله عـنـه عـن الـنـبـي ﷺ لـعـن الله من ذبح[٤] لغـيـر الله ولـعـن الله مـن لـعـن والديـه[٥] ولعـن الله مـن

---

(١) الآية رقم ٣٧ من سورة الحج والمعنى أنه لن يصعد إليه ولا يبلغوا رضاه ولا يقعوا موقع القبول منه لحوم هذه الإبل التي تصدقون بها ما لم تكن خالصة لله ومراد بها وجه الله أ هـ فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني ج٣ ص٤٥٥.

(٢) الآية رقم ٢٣ من سورة الإسراء وفي الآية الأمر من الله ألا يعبدوا غيره لأن العبادة نهاية التعظيم وهذا لا يليق إلا بالله أهـ الدر النضيد ص٢٧ وأورده المصنف هنا لأن من ضمن العبادة الذبح.

(٣) الآية رقم ٥ من سورة البينة والمعنى ما أمروا في جميع العبادات الظاهرة والباطنة إلا لله تعالى والإخلاص فيها له معرضين عن سائر الأديان والمخالفة لدين التوحيد انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي ج٨ ص٢٥٨ ولعن الله من تولى غير مواليه ولعن الله العاق لوالديه ولعن منتقص منار الأرض وأخرجه أحمد وابن حبان من رواية ابن عباس مرفوعا لعن الله من ذبح لغير الله.

(٤) لأن الذبح لغير الله يشمل صغير المذبوح وكبيره من البدنة إلى الذبابة وكل مذبوح له من صالح أو طالح في الأصل تقديم اللعن للاعن والديه والصواب ما أثبتناه كما هو موجود في معظم الروايات وتقديم لعن الذابح لغير الله هو الأولى لأن الشرك بالله من أعظم الذنوب ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم.

(٥) أي كان السبب في سب والديه كما ورد في الحديث يسب الرجل أبا الرجل ويسب أمه فيسب أمه.

آوى[١] محدثا ولعن الله من غير منار الأرض[٢] وأخرجه الحاكم من روايته بلفظ لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من تولى غير مواليه ولعن الله العاق والديه ولعن الله منتقص منار الأرض وأخرجه أحمد وابن حبان من رواية ابن عباس مرفوعا لعن الله من ذبح لغير الله وذكر بقية هذه الأربع ولعن الله من كمه[٣] أعمى عن الطريق ولعن الله من عمل عمل قوم لوط فردد اللعن عليه ثلاث مرات.

فصل

واللعن على الذبح لغير الله شامل ما كان شركا بالله كالذبح لقبر أو شجر أو جني ممن سيشرك به من دون الله لاعتقادهم أنهم ينفعون ويضرون ويشفون ويقضون حوائجهم وقد أخرج أحمد من حديث طارق بن شهاب مرفوعا قال دخل رجل النار في ذباب ودخل رجل الجنة في ذباب قالوا كيف ذلك يا رسول الله قال مر رجلان على قوم لهم صنم ولا يجوز أحد حتى يقرب له شيئا فقالوا لأحدهما قرب فقال ليس عندي شيء أقرب قالوا قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للآخر قرب قال ما كنت لأقرب شيئا دون الله فضربوا عنقه فدخل الجنة فهذا الذبح هو الذي كان عليه عباد الأوثان ويدخل في الذبح لغير الله

(١) أي منع أخذ الحق الذي يجب عليه للآخرين.

(٢) أي أحدث تغييراً للحدود الفاصلة بين الأملاك بتقديم أو تأخير وهذا من أعظم الذنوب لما يترتب عليه من أخذ حقوق الناس وحصول الفتن.

(٣) كمه أعمى لم يرشده إلى الطريق الذي يقصده والحديث هذا موجود في مسند الإمام أحمد جـ١٩ ص٣٢٠.

ما كان من المعـاصي وهو دون الشرك الأكبر لدخوله في من لعنه الله وذلـك كالـذبـح لبيارق السلطان وكما يسمى عقيرة السوق وكما يرمى للعـروس وكما يراق دمه على الجدران في العمارات ولا فرق بين أن يذكر اسم الله عليه أو لافساد القصد بذبحه لغير الله والتسمية لا تحل محرما فهو مما ذبح لغير الله لوجود المعنى الذي هو علة التحريم وقد روي أبـو داوود عن ثابت بن الضحاك في الرجل الذي نذر أن ينحر إبلا[١] ببوانه[٢] فقال له الرسول ﷺ هل بها وثن من أوثانهم أو عيد من أعيادهم قال لا قال أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله. فدل على أن النذر بالذبح لله تعالى ممنوع في محل أوثانهم ولو سم الله عليه وكان قصده صحيحا كفعل هذا الصحابي فكيف بمن كان قصده فاسداً وقد روى ابن حاتم[٣] عن الجارود ابن أبي سبرة قال: كان رجل من بني رباح يقال له: ابن وثيل، وكان شاعرا، ناثراً غالباً أبا الفرزدق[٤] بما بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مائة من إبله وهذا مائة من إبله إذا وردت الماء فلما وردت الماء قاما إليها بأسيافها يكشفان عراقبها قال فيخرج الناس على الحمـر[٥] والبغال يريدون اللحم، قال وعلي بالكوفة فخرج علي

---

(١) كان هذا النذر من الرجل أنه إذا تحصل على مولود ذكر أن ينحر على رأسه. إبلا وعدة من الغنم أنظر فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص١٥٣.

(٢) بوانة بضم الباء وقيل بفتحها قال البغوي موضع في أسفل دون يلملم قال أبوالسعادات هضبة من وراء ينبع انتهى المرجع السابق ص١٥٤.

(٣) المعروف أن الراوي أبو إسحاق كما يوجد في إقتضاء الصراط المستقيم وفي غيره.

(٤) في الأصل وكان شاعرا نافراً غالباً أبا الفرزدق، والصواب ما أثبتناه: انظر اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٦٠.

(٥) في الأصل الحمرات والصواب ما أثبتناه.

على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وهو ينادي يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها فإنه أهل بغير الله(١) ويشهد له بالصحة كما رواه أبو داوود عن رجـان(٢) عن ابن عباس قال نهى رسول الله ﷺ نهى عن معاقرة الأعراب(٣) فاخرج عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل طعام المتبارين أن يؤكل(٤) فهذا كما ترى فيمن قصد بذبحه لغير الله من أهـل الإسـلام والمضنـون في أهل الإسلام التسمية لاسيما في ذلك الصدر الصالح ولما أن خالف القصد القول صرحوا بأنه أهل به لغير الله .

فصـــل

ومن أنواع العبادات الطواف فهو عبادة لا تصلح إلا لله كالسجود والركوع والصيام قال الله تعالى ﴿**وليطوفوا بالبيت العتيق**﴾(٥) وقال تعالى ﴿**وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود**﴾(٦) فهذه الأنواع من العبادة من خالص حق الله على

---

(٦) قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد سرده لهذه القصة يقول: فهؤلاء الصحابة قد فسروا ما قصد بذبحه غير الله داخلا فما أهل به لغير الله . انظر: إقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٦٠ .

(١) كذا بالأصل والصواب ريحانة .

(٢) معاقرة الأعراب: هو عقرهم الإبل كان يتبارى الرجلان في الجود والسخاء فيعقر هذا إبلاً وهذا إبلا، حتى يعجز أحدهما الآخر، وكانوا يفعلونه رئاء وسمعة وتفاخرا ولا يقصدون به وجه الله فشبهة بما ذبح لغير الله والحديث رواه ابوداوود انظر عون المعبود جـ٨ ص١٥ .

(٣) الحديث رواه أبوداوود انظر عون المعبود لأبي الطيب محمد شمس الحق جـ(١٠) ص٢٢٤ باب في طعام المتبارين.

(٤) الآية رقم ٢٩ من سورة الحج . (٥) الآية رقم ٢٦ من سورة الحج .

عباده الذي لا يصلح لغيره منه شيء فمن طاف بغير بيته تعبداً قد تعبد غير الله ومن أنواع العبادة النذر[١] فلا يكون إلا لله قال الله ﴿وليوفوا نذورهم﴾[٢] وأثنى على الذين يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا[٣] والنذر لا يكون إلا لله ولا ينذر أحد من ماله شيئا إلا معتقداً جلب نفع أكثر منه وملك النفع والضر إنما هو لله تعالى فهو الذي له ملكوت كل شيء مع أنه قد صح من رواية عبدالله ابن عمر عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر وقال أنه لا يأتي بخير[٤] وإنما يستخرج به من البخيل وفي رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال أن النذر لا يقرب من بني آدم شيئاً لم يكن الله قدره ولكن النذر يوافق القدر[٥] فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن يريد أن يخرج فأخبر النبي ﷺ أن النذر لا يأتي

(١) النذر في اللغة الإيجاب وفي الشرع ما أوجبه المكلف على نفسه وقد أجمع المسلمون على صحة النذر ووجوب الوفاء به إذا كان نذر طاعة أما إن كان النذر بمعصية فلا يجب الوفاء به وعليه كفارة يمين.

(٢) الآية ٢٩ من سورة الحج.

(٣) الآية رقم (٧) من سورة الإنسان.

(٤) الحديث رواه مسلم في صحيحه أنظر النووي على مسلم جـ١١ ص٩٧ وورد الحديث عن عبدالله بن عمر روايات منها أن النذر لا يقدم شيئا ولا يؤخره وإنما يستخرج من مال البخيل وفي رواية من الشحيح والفرق بين الشح والبخل ظاهر.

(٥) الحديث رواه مسلم في صحيحه بهذا اللفظ انظر النووي على مسلم جـ ١١ ص٩٩ وللحديث روايات أخرى أوردها مسلم في صحيحه أما سبب النهي عن النذور فلكون الناذر يصير ملتزما له فيأتي به تكلفاً بغير نشاط ويحتمل أن يكون سببه كونه يأتي بالقربة التي إلتزمها من نذره على صور المحفوظة في الأمر الذي طلبه فينقص أجره ويحتمل أن يكون النهي لظن بعض الجهلة أن النذر يرد القدر وقد أطال النووي هذا البحث فليرجع إليه وأما معنى قوله ﷺ أنه لا يأتي بخير فمعناه لا يرد القدر شيئاً وأما معنى قوله ﷺ يستخرج من البخيل معناه أن البخيل لا يأتي بهذه القربى تطوعاً محضاً وإنما يأتى بها في مقابلة شفاء المريض وغيره.

بخير وأنـه ليس من الأسبـاب الجالبة للخير الدافعة للشر وإنما يوافق القـدر موافقة كما يوافقه بسائر الأسباب هذا والحال أن النذر لله وإن وجب الوفاء به كما صرح به القرآن وصرحت بذلك السنة فقد صح عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه[1] لكن نذر الطاعة المعلقة بشرط ليس سبباً للخير فما الظن بالنذر لمن لا يضر ولا ينفع ومن نذر لغير الله فقد أثبت له من خواص الإلهية لملك الضر والنفع ما لا يكون إلا لله فإنه ما نظر شيئاً من ماله إلا معتقداً أن يجلب معه نفعا أو يدفع عنه ضرا وهذا إنما هو بيدي الله ولو عرف الناذر بطلان ما أراده ما أخرج له درهماً وقد صارت النـذور المحـرمـة في الشـرع عونـا لسـدنـة القبـور ومن دعـاه الكفر والمجاورين العاكفين عند قبور بعض المشاهد أو غيرها من المشابهين الـذين قال لهم الخليل عليه السـلام ما هذه التمـاثيل التي أنتم لهـا عاكفون[2] وبالذين اجتاز بهم موسى عليه السلام وقومه كما قال تعالى ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾[3] فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم فيأكل هؤلاء أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وقد وقر في قلوب الناذرين أن هذه النذور سبب في حصول قضاء حوائجهم فهذا النذر هو من الإنفاق في الصد عن سبيل الله لتوفير أوقات السدنة للقبور والعاكفين عندها إلى الدعاء إلى سبيل الشيطان وإذا كان النذر بالذبح لله بمحل أوثانهم وأعيادهم ممنوعاً كما تقدم من رواية أبوداود عن ثابت

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه ومعناه أنه يلزمه الوفاء بنذر الطاعة دون نذر المعصية والأحاديث في عدم وجوب الوفاء بالمعصية كثيرة.

(٢) الآية رقم (٥٢) من سورة الأنبياء.

(٣) الآية رقم (١٣٨) من سورة الاعراف.

ابن الضحاك أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة فقال هل بها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قالوا لا قال فهل كان بها عيد من أعيادهم قالوا لا قال فأوف بنذرك فإنه لا وفاء بالنذر في معصية الله[1] هذا والنذر بالذبح لله فكيف بمن يصرف الأموال إلى من يدعوا إلى غير الله وبمن يقبض النذور المحرمة مقراً لأهل الكفر على كفرهم وموهماً لهم إنما اعتقدوه حقاً أليس هذا ممن أراد العلو في الأرض والفساد فيها.

(١) أخرجه أبوداوود عن ثابت بن الضحاك في كتاب الإيمان والنذور باب ما يؤمر به من وفاء النذر انظر سنن أبي داوود مع العون ج٩ ص١٤٠ وتتمة الحديث ولا فيما لا يملك ابن آدم ببوانه موضع وهضبة من وراء ينبع وقيل موضع بين الشام وديار بكر وقال البغوي أسفل مكة دون يلملم وفي الحديث دليل على أنه يصح النذر في المباح لأنه لما نفى النذر في المعصية بقي ما عداه ثابتاً انظر المرجع السابق جـ٩ ص١٤ ويشترط في النذر لله أن يكون النذر طاعة لقوله ﷺ لا نذر في معصية الله ولا في قطيعة رحم وأن يكون مما يطيقه العبد لحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله فأمرتني أن استفتي لها رسول الله ﷺ فاستفته فقال لتمشي ولتركب وأن لا يكون في موضع كان يعبد فيه غير الله أو ذريعة إلى غير الله لحديث ثابت ابن الضحاك المذكور أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال إني نذرت إبلا ببوانة فقال أكان فيها وثناً من أوثان الجاهلية يعبد قال لا قال فهل كان فيها عيد من أعيادهم قال لا قال أوفي نذرك.

وأن يكون فيما يملك لحديث لا وفاء لنذر في معصية الله ولا في مالا يملك ابن آدم رواه أبوداوود اسناده صحيح انتهى معارج القبول للشيخ حافظ ابن أحمد الحكمي ج٢ ص٤٥٥، ٤٥٦.

فصـــل

ومـن أنـــواع العبـــادة الحلف[١] فهي من خالص حق الله قال الله ﴿**ويستنبئونك أحق هو قل أي وربي**﴾[٢] وقال تعالى ﴿**قل بلى وربي لتأتينكم**﴾[٣] وقال تعالى ﴿**قل بلى وربي لتبعثن**﴾[٤] فالحلف عبادة لله أمر الله رسوله بذلك في هذه الثلاث الآيات وفي الحلف من التعظيم بالمقسم به مالا يخفى وفي الصحيح من كان حالفاً فليحلف[٥] بالله أو ليصمت وثبت عن النبي ﷺ أنه قال (من حلف بغير الله فقد أشرك)[٦] وسيأتي في باب الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

---

(١) الحلف القسم والقسم بمعنى الحلف واليمن والصيغة الصلبة للقسم أن يؤتي بالفعل أقسم أو أحلف متعديا بالباء إلى القسم به ثم يأتي المقسم عليه وهو المسمى بجواب القسم انظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان وقد ألف ابن القيم كتاباً في أقسام القرآن سماه التبيان في أقسام القرآن.

(٢) الآية رقم (٥٣) من سورة يونس.

(٣) الآية رقم (٣) من سورة سبأ.

(٤) الآية رقم (٧) من سورة التغابن.

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتب الإيمان والنذور باب لا تحلفوا بأبائكم انظر صحيح البخاري جـ٤ ص١٥٩.

(٦) الحلف بغير الله شرك أصغر. والشرك الأصغر من أكبر الكبائر كما يراه بعض المحققين تيسير العزيز الحميد ص٥٣.

فصـــل

ومن أنواع العبادة التوبة[١] فإنها لا تصلح إلا لله ولا ينبغي إلا له قال الله تعالى مخاطباً لعباده المؤمنين ﴿**وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾[٢] وقال تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا**﴾[٣] وقال تعالى ﴿**ومن يغفر الذنوب إلا الله**﴾[٤] وفي المسند[٥] عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ أتى بأسير فقال اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال النبي ﷺ عرف الحق لأهله[٦] فالتوبة عبادة لا تنبغي إلا لله لأنها ناشئة عن غاية الذل وغاية الحب فإذا اراد الله بعبده خيراً أشهده ذنوبه وقد علم أن ربه محيط علمه بتفاصيل جناياته وأنه لا ينجيه من سطوتـه إلا الفـرار إليه كما أمر عباده بذلك في قوله تعالى

---

(١) التوبة: لغة الرجوع وشرعاً هي الرجوع من البعد عن الله إلى القرب إليه سبحانه وتعالى وقيل هي اجتنـاب ذنب سبق منك مثله حقيقة أو تقديرا انظر دليل الفالحين لمحمد ابن علان الصديقي جـ١ ص٦٧.

(٢) الآية رقم (٣١) من سورة النور وفيها الأمر بالتوبة والأمر بقيض الرجوع والفرضية.

(٣) الآية رقم (٨) من سورة التحريم ومعنى نصوحاً صادقة وقيل أن يبغض الذنب الذي ارتكبه ويستغفر منه إذا ذكره وقيل التوبة النصوح الندم بالقلب والإستغفار باللسان انتهى فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني جـ (٥) ص٢٥٤.

(٤) الآية رقم (١٣٥) من سورة آل عمران.

(٥) أي مسند الإمام أحمد.

(٦) الحديث رواه الإمام أحمد وضعفه غيره عن الأسود ابن سريع والحديث فيه محمد بن صعب وثقه الإمام أحمد وضعفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح انظر الفتح الرباني للساعاتي جـ (١٩ ص٣٤٣.

﴿ففـروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾[1] وإن الفرار منه هو سبب الهلاك والغضب وأنه لم يقدم على ربه بنفسه قدم به على أسوأ حال فيورث ذلـك كسره في القلب وذلاً وخضوعاً لمولاه يحمله على الندم على ارتكاب الذنب وعلى التخلص منه بالفرار إلى من هو أرحم به من نفسه ووالديه وولده والناس أجمعين.

فصـــل

ومن أنواعها الإنابة[2] إلى الله قال تعالى **﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾**[3] وأخبر تعالى أن البشرى منـه إنمـا هي لأهل الإنابة فقال تعالى **﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعـون أحسنه أولئك الذين هداهم الله أولئك هم أولوا الألباب﴾**[4] وقال تعالى حاكياً عن خليله إبراهيم والذين معه **﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من**

---

(١) الآية رقم (٥٠) من سورة الذاريات.

(٢) الإنابة هي الرجوع إلى الله بالطاعة والبعد عن المعصية.

(٣) الآية رقم (٥٤) من سورة الزمر.

(٤) الآيتان رقم ١٧، ١٨، من سورة الحج.

الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾[١].

فأخبر أنهم إلى الله أنابوا لا إلى غيره والإنابة في اللغة هي الرجوع وهي هاهنـا الرجوع إلى الله تعالى وذلك يتضمن الخضوع خوفاً وحباً والإقبـال إليه والإعـراض عمـا سواه ولذا أخبر الله أن الناس في حال الإضطرار ينيبون إليه بالإقبال إليه والإعراض عما سواه فيدعونه وحده لا شريك له وأنه إذا أسبغ عليهم النعم إذا فريق منهم بربهم يشركون كما قال تعالى **﴿وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون**[٢] **ليكفروا بما آتيناهم وهذه الآية قريبة من قوله تعالى ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الـدين فلما نجاهم إلى البر إذ هم يشركون﴾**[٣] فالمنيب إلى الله هو المسرع إلى مرضاته المعرض عما سواه.

---

(١) الآية رقم (٤) من سورة الممتحنة.

والتوكيل تفويض الأمر إلى الله مع بذل الأسباب والآيات كثيرة قال تعالى ﴿وما أختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [الشورى رقم (١٠)].

وقال تعالى عن عبده داوود عليه السلام ﴿فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب﴾. سورة (ص) آية ٢٤.

(٢) الآية رقم (٣٣) من سورة الروم.

(٣) الآية رقم (٦٥) من سورة العنكبوت.

فصـــل

ومن أنواع العبادة التوكل[١] على الله قال تعالى ﴿**وعلى الله فتوكلوا**[٢] **إن كنتم مؤمنين**﴾ وقال عن خليله والذين معه ﴿**ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير**﴾[٣] وقال لرسوله ﷺ ﴿**فتوكل على الله إنك على الحق المبين**﴾[٤] وتـوكـل على الحي الـذى لا يمـوت[٥] والتـوكل هو

(١) وهو صدق التفويض والإعتماد على الله في جميع الأمور وإظهار العجز والإستسلام له وهو عبادة من أجل العبادات بل هو من أجل أنواع العبادة وأعلى مقامات التوحيد فلا يفوض عبد أموره ولا يعتمد إلا على الله عز وجل فهو القادر على كل شيء بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

وحكم الإعتماد على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر أنظر حاشية الثلاثة الأصول لعبدالرحمن بن محمد بن قاسم ص٣٨.

(٢) إخلاص التوكل على الله شرط في صحة الإيمان ينتفى عند انتفائه فالتوكل على الله لا على غيره انتهى المصدر السابق ص٣٧.

والآية رقم (٢٣) المائدة.

(٣) ومعنى توكلنا أي اعتمدنا عليه في جلب ما ينفعنا ودفع ما يضرنا وثقنا بك يا ربنا ومعنى إليك أي رجعنا إلى طاعتك ومرضاتك وجميع ما يقرب إليك والآية رقم ٤ من سورة الممتحنة.

انظر تيسير الكريم الرحمن للشيخ عبدالرحمن السعدي جـ٨ ص(١١٢).

ومعنى المصير المرجع وفي هذه الآية دليل على أن التوكل على الله سبحانه وتعالى وحده والآية رقم (٤) من سورة المتحنة.

(٤) الآية رقم (٧٩) من سورة النمل والمعنى أي أعتمد على ربك في جلب المصالح ودفع المضار وفي تبليغ الرسالة وإقامة الدين وجهاد الأعداء ﴿إنك على الحق المبين﴾.

(٥) الآية رقم (٥٨) من سورة الفرقان.

الإستعانة بالله ولا يتم حقيقة التوكل إلا بعد معرفة العبد أن مقاليد الأمور بيد الله وإنتهاء الأمور إلى علمه فحقيقة إلقاء النفس في العبودية بالقيام بما أمرت به وبراءتها من حولها وقوتها بها إلا بالله وحده فلا يرجو سواه ولا يقصد إلا اياه ولا يلاذ إلا بجنابه ولا تطلب الحوائج إلا منه ولا يرغب إلا إليه وليعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه ولهذا قال سعيد ابن جبير التوكل على الله جماع الإيمان وتأمل قوله ﴿**ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون**﴾[1] فجعل الرضا بما آتاه الله ورسوله وجعل التوكل على الله وحده وهو قوله حسبنا الله وكذا الرغبة إلى الله وحده في التوفيق لطاعة الرسول وعلى قدر توحيد العبد يكون صحة توكله فإن التوكل قطع علائق القلب بغير الله فمتى إلتفت العبد إلى غير الله كان ذلك نقصاً في توكله على الله بقدر إلتفاته إلى غير الله والتوكل لا ينافي القيام بالأسباب مع رفض تأثيرها من القلب بل لا يصح التوكل إلا مع القيام بها لأن الذى أمر بالتوكل عليه هو الذي أمر بالقيام بالأسباب. فلابد من الإمتثال والقيام بجميع ما أمر وقد ظاهر رسول الله ﷺ بين درعين[2] فرفض الأسباب عن القلب وتعلق الجوارح بها لا يتم التوكل إلا به.

---

(١) الآية رقم (٥٩) من سورة التوبة والآيات في التوكل كثيرة.

(٢) لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أدراع منها ذات الفصول وذات الوشاح وذات الحواشي والصفدية انتهى. انظر فتح الغفار شرح حدائق الأفكار للحسن ابن أحمد عاكش مخطوط.

فصـــل

ومن أنواع العبادة الخوف[١] والرجاء[٢] ولا يتم العبادة إلا بها فبالخوف يكف عن المناهي وبالرجاء ينبعث إلى الطاعات قال الله تعالى ﴿**فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**﴾[٣] وقال تعالى ﴿**فلا تخشوا الناس واخشون**﴾[٤] وقال تعالى ﴿**وإياي فاتقون**﴾[٥] ﴿**واياي فارهبون**﴾[٦] وقال تعالى ﴿**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**﴾[٧]

فرتب وقوع الهداية لهم بفعلهم هذه الصفات الحميدة وعدم خوف غير الله وأثنى الله على الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال تعالى

(١) الخوف هو الغم من توقع وحصول حاجات في المستقبل وهو من العبادات القلبية وقيل الخوف هو إنزعاج القلب بتوقع مكروه عاجل.

(٢) الرجاء هو من العبادات القلبية وصرفه لغير الله شرك أكبر والرجاء معناه التوقع والأمل.
انظر حاشية الثلاث أصول لعبدالرحمن الحنبلي ص(٣٧).
وقيل الرجاء هو رد الخوف وهو تأمل الخير وقرب وقوعه وقد يطلق الرجاء على الخوف ومنه قوله تعالى ﴿ مالكم لا ترجون لله وقارا﴾ والفرق بينه وبين التمني ان التمني يصاحبه الكل وضده صاحب الرجاء.
انظر دليل الفالحين لمحمد بن علان الصديقي جـ(٢) ص(٣٠٤).

(٣) الآية رقم (١٧٥) من سورة آل عمران.

(٤) الآية رقم (٤٤) من سورة المائدة.

(٥) الآية رقم (٤١) من سورة البقرة.

(٦) الآية رقم (٤٠) من سورة البقرة.

(٧) الآية رقم (١٨) من سورة التوبة.

﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾[١]

وذكر المفسرون أنها نزلت في ناس من الإنس كانوا يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم ونزلت أيضا في عيسى وعزير والملائكة ممن لا يرضى أن يعبد من دون الله أي هم عبادي يرجون رحمتي ويخافون عذابي فليس لخوفكم لهم[٢] ورجائكم إياهم محلا فتدعونهم من دوني فإن المنفرد بملك الضر والنفع هو الله الذي له الأمر كله لا يتحرك شيء من الأشياء إلا بحوله وقوته ولا ينفع ولا يضر إلا بإذنه فمن رضي بحكم الله وقسمه لم يبق لرجاء الخلق في قلبه موضع ومن سلم لله واستسلم له وعلم أنما أصابه لم يكن ليخطئه[٣] وما أخطأه لم يكن ليصيبه وأنه لم يصيبه إلا ما كتب الله له لم يبق لخوف المخلوقين في قلبه موضع فالله سبحانه وتعالى أمر بخوفه ورجائه ونهى عن خوف غيره ورجائه وعلى قدر علم العبد ومعرفته يكون الخوف والرجاء قال ﷺ

---

(١) الآية رقم (٥٧) من سورة الإسراء.

(٢) الذي يظهر أن سبب النزول الذي ذكره المصنف سببا لنزول هذه الآية هو سبب قوله تعالى ﴿وقل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ انظر لباب النقول من أسباب النزول للحافظ السيوطي ص(٣٧).

(٣) وفي هذا حديث طويل رواه ابن عباس وفيه «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لا يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف».

رواه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ـ ولكن ياحنظله ساعة وساعة رقم الحديث ٢٥١٦ وقال حديث حسن وأخرجه الإمام أحمد في المسند جـ١ ص٣٠٧.

«إني لأعلمكم بالله وأشـدكم له خوفا» وقال ﷺ «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»(١) وأخبر تعالى ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾(٢) ولذا نجد أثبت الناس في مقام الشدة وأشدهم الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل لأن خوفهم ورجائهم لمن له الضر والنفع لا لسواه ولذا لمـا أخـذ الأعرابي سيف رسول الله ﷺ والنبي نائم فرفعه عليه وقال اتخافني قال لا وفي أخرى فمن يمنعك مني قال الله فسقط السيف من يد الأعرابي فأخذه النبي ﷺ وقال من يمنعك قال لا أحد وفي أخرى كن خير آخذ فعفى عنه رسول الله ﷺ(٣) والأعرابي هو غورث أو قصتان له ولغيره أحدهما وهي التي في غزوة ذات الرقاع والأخـرى في غـزوة ( )(٤).

والرجل يقال له دعثور ابن الحارث(٥) وكذا أخبر الله عن المؤمنين في غزوة الأحزاب فقال تعالى ﴿**ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما**﴾(٦) وأما ما يذكر من خوف بعض المؤمنين في الحروب وغيرها فذاك يقع

---

(١) الحديث مروي عن أنس بن مالك ولفظه «خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها فقال «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» الحديث أخرجه البخاري في التفسير والنسائي وغيره وللحديث روايات مختلفة.

(٢) الآية رقم (٢٨) من سورة فاطر.

(٣) القصة مذكورة في تفسير القرطبي وفيها خلاف عما نقله المؤلف. انظر تفسير القرطبي ٥/٣٧٢.

(٤) بياض في الأصل.

(٥) انظر الفتح جـ٧ ص٤٢٨.

(٦) الآية رقم (٢٢) من سوورة الأحزاب.

بسبب الطبع البشري إما عقوبة على شيء من الذنوب أو دهشة من الوارد فيحجبه ما يرى عما يعلم أو للبلوى التي ذكرها الله في غير محل ولا عقوبة في الطبع البشري إن لم يعمل بأثر ذلك الخوف من الفرار من أعداء الله والنكول عن الجهاد في سبيل الله.

فصـــل

فهذه العبادات لا تصلح إلا لله ولا تنبغي لسواه وتحقق هذا المعنى هو في قول لا إله إلا الله فهذه الكلمة تقتضي أن لا إله غير الله أي لا معبود إلا الله وهو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاءً له ولا يصح ذلك إلا لله عز وجل وليس لأحد من المخلوقين من ذلك شيء فمتى صرف العبد شيئاً من عبادته لغير الله فقد أشركه مع الله وكان ذلك نقصا في توحيده بحسب ما وقع من التعبد لغير الله فإن معنى أشركت زيداً جعلت له قسطاً، فالإشراك في الدين أن تجعل شيئا منه لغير الله[1]

---

(١) حكم الخوف من الجهاد وترك السفر من أجل الخوف من الناس محرم وللخوف أربعة أنواع منها هذا النوع المذكور حكمه محرم. والثاني خوف السر وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه به أشياء من مرض أو فقد أو موت ونحو ذلك بقدرته ومشيئته فهذا الخوف حكمه شرك أكبر ومن هذا إعتقادهم في الأصنام والآله ومنه عبادة القبور. الثالث خوف وعيد الله الذي توعد به العصاه وهو الذي قال الله فيه ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ وغيره من الآيات وهذا يكون محموداً إذا لم يوقع في القنوط واليأس من روح الله. النوع الرابع الخوف الطبيعي كالخوف من عدو أو سبع وهدم وغرق ونحو ذلك فهذا لا يذم وهو الذي ذكره الله عن موسى عليه السلام ﴿فخرج منها خائفا يترقب﴾ وقد بُسطت هذه الأنواع وأطيل الشرح فيها في كتاب تيسير العزيز الحميد تأليف الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ فليرجع إليه في صفحات ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧.

لكن لسعة رحمة الله جعل بعض تعبد العبد شركا لا يغفره كالشرك[١] الأكبـر وقـد تقدم في عضون هذه الأبحاث وجعل بعضه موقوفا تحت مشيئة الله وهو المسمى بالشرك الأصغر[٢] فقد ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشأها من طاعة غير الله وخوفه أو رجائه أو التوكل عليه أو الغمل لأجله كما ورد اطلاق الشرك على الرياء وعلى التوكل على غير الله كالرقا[٣] المكروهة وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثل أن يقول ما شاء الله وشاء فلان ومثله مالى إلا الله وأنت ولولا أنت لم يكن كذا أو كالطيرة كما أخرج أحمد عن عبدالله ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا يا رسول الله ما كفارة ذلك قال أن يقول أحدهم اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك[٤] وكذلك إتباع هوى

---

(١) الشرك الأكبر هو أن يجعل لله شريكا في عبادته يدعوه أو يرجوه أو يخافه أو يحبه كمحبة الله أو يصرف له نوعا من أنواع العبادة فهذا الشرك الذي حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وهو مخرج من الملة.

(٢) الشرك الأصغر وهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك الأكبر كالحلف بغير الله والرياء وعدم الإخلاص في العمل وقول ما شاء الله وشئت وهذا الشرك لا يخرج من الملة وأمره تحت المشيئة.

(٣) الرقا هي العزائم وتنقسم إلى قسمين مباحة ومحرمه فالمباحة هي التي تكون بكلام الله واسماءه وصفاته والمأمور به من الأدعية الثابتة والمكروهة هي ما جاءت بغير اللسان العربي فإنها قد تكون شركا أو كفرا أو هي ما كانت من الفعل الجاهلي والمعتقدات الجاهلية.

(٤) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح انظر المسند ج٢ ص٢٢٠ عن عبدالله بن عمر وابن السني أيضا بسند صحيح وفي أحد رواته ابن لهيعة ولكن ذلك قبل اختلاطه فلا يضر انظر النهج السديد للدوسري ص١٦٣.

النفس كقوله تعالى ﴿**أفرأيت من اتخذ الهه هواه**﴾[١] وكذا أطلق الشارع على كثير من الذنوب التي منشأها من إتباع الهوى أنها كفر وشرك كقتال المسلم[٢] ومن أتى حائضا أو امرأة في دبرها[٣] وهذه الأعمال هي التي قال السلف فيها كفر دون كفر وشرك دون شرك وقد تكون هذه الأمور شرك أكبـر بحسب حال قائلهـا أو فاعلها وقد نزه الله نفسه عن مطلق الإشراك الأكبر والأصغر كما قال تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا[٤] وقال تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا[٥] وقال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمـل عمـلا صالحـا ولا يشـرك بعبـادة ربـه أحدا)[٦] وقد تواتر في الأحاديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فالشرك بالله من أنكر المنكرات ولكن لسعة رحمة الله وسبقها غضبه (ان جعل الشرك الأصغر تحت المشيئة)(*) فصل يبين أحكامها في الدنيا

---

(١) الآية رقم (١٣) من سورة الجـاثية والهـوى ميلان النفس وانـدفـاعها والسبب أن بعض المشركين يتخذ الهاً من تمر فإذا احتاج إليه أكله والبعض يتخذ الهاً من ذهب فإذا احتاج إليه باعه والتجرد من الهوى ينبغي أن يتحلى به المؤمن لأن الهوى يخرج الإنسان من الحق إلى الباطل.

(٢) نص الحـديث (قتـال المسلم أخـاه كفـر وسبـابه فسوق) رواه الترمذي عن ابن مسعود والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

(٣) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة ولفظه (من أتى حائضا أو أمرأه في دبرها أو كاهنا وصدقه فقد برىء بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) انظر الفتح الرباني ج**٣** ص**٥٥**.

(٤) الآية (٦٤) من سورة آل عمران.

(٥) الآية رقم (٣٦) من سورة النسـاء.

(٦) الآية رقم (١١٠) من سورة الكهف.

(*) إضافة من المحقق.

والآخرة.فجعل من أحكام الشرك الأكبر قتل المشرك وسبي ذريته ونحو ذلك ولا يرجى له في الآخرة ولم يجعل هذا الحكم في الشرك الأصغر بل أبقاه على حكم الإسلام في الدنيا فلا تسبي ذريته وأما في أحكام الآخرة فهو موقوف تحت مشيئة الله[1] وقد صح أن أول من تسعر بهم جهنم ثلاثة من أهل الشرك الأصغر ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن أول الناس يقضي بينهم يوم القيامة ثلاثة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعـرفها فقال ما عملت[2] قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكن قاتلت أن يقال فلان جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فاتى به فعرفه نعمتـه فعـرفها قال ما عملت[3] فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت القـرآن فيك قال كذبت ولكن تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى فعرفه نعمته فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن تنفق فيها إلا انفقت فيهـا لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به

---

(١) ومن الفروق بين الشرك الأصغر والأكبر أن الشرك الأصغر لا يخرج من الملة والأكبر يخرج من الملة والشرك الأصغر يبطل نفس العمل كالرياء والأكبر يبطل جميع الأعمال قال تعالى ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أظل أعمالهم﴾ وقال تعالى ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمـل فجعلناه هباء منثوراً﴾ والشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار أما الشرك الأكبر فيخلد صاحب في النار.

(٢) في الأصل علمت ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل علمت والصواب ما أثبتناه.

فسحب على وجهه حتى ألقي في النار رواه الترمذي[١] وحسنه والنسائي وابن حبان في صحيحه وفيه ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي ثم قال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة وأخرج أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي ابن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الآمة بالسنا والدين والرفعة والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب[٢] وقد روى الترمذي في التفسير وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي عن أبي سعد بن فضاله وكان من الصحابه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمله لله أحد فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك[٣] وأخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه وفي رواية ابن ماجه

---

(١) الحديث رواه الترمذي انظر تحفة الأحوذي ج٧ ص٥٤ و٥٥ و٥٦ والحديث طويل جدا وفيه قال الوليد أبو عثمان المدائني فأخبرني عقبه أن شفيا هو الذي دخل معاوية فأخبره بهذا قال أبوعثمان وحدثنى الولا ابن ابي حكيم أنه كان سياقاً لمعاوية قال فدخل عليه رجل فأخبره بهذا عن أبي هريرة فقال معاوية قد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس ثم بكي معاوية بكاء شديدا حتى ظننا أن هالك وقلنا جاءنا هذا الرجل بشر ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال صدق الله ورسوله ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفِ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾.

(٢) الحديث رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي.

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه في سنن ابن ماجه ج٣ ص١٤٠٦ والحديث رقم ٤٢٠٣.

فأنا منه بريء وهو الذي أشرك[1] وأخرج أحمد عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء[2] يقول الله يوم القيامة إذا جرى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء وأخرج ابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر خرج إلى المسجد فوجد معاذا عند قبر رسول الله ﷺ يبكي فقال ما يبكيك قال حديث سمعته من رسول الله ﷺ قال اليسير من الرياء شرك ومن عاد أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة إن الله يحب الأبـرار والأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفقدوا وإذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرج من كل غني مصلحة وأخرج أحمد عن أبي على رجل من بني كاهل، قال خطبنا أبوموسى الأشعرى فقال ايها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل فقام عبدالله بن حرب وقيس بن المضارب فقالا والله لنخرجن فما قلت أو لنأتين عمر مأذونا لنا أو غير ماذون قال بل اخرج مما قلت خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال ايها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه اخفى من دبيب النمـل فقال له ما شاء الله أن يقول فكيف تتقيه وهو أخفى من دبيب

(١) الحـديث رواه مسلم عن أبي هريرة والـرواية الأخـرى عن ابن ماجـه بسند حسن وقال المنذري في الترغيب أن رواته ثقات وصححه العراقي في تخريج الأحياء والبوصيرى في الزوائد انتهى انظر المنهج السديد لأبي سليمان الدوسرى ص٢٠٦ و٢٠٧.

(٢) الحديث حسن رواه أحمد والبغوي في شرح السنة عن محمود بن لبيد وسنده حسن وقال المنذري إسناده جيد وقال العراقي رجاله ثقات وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح ورواه الطبراني في الكبير عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج مرفوعا وسنده ضعيف انظر النهج السديد ص٤٦.

النمل يا رسول الله قال قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك مما لا نعلمه وقد روي من وجه آخر وفيه أن السائل في ذلـك أبـوبكر[١] الصديق رضي الله عنه كما رواه الحافظ أبويعلي من حديث عبدالعزيز بن مسلم عن ليث بن أبي سليم عن أبي محمد عن معقل بن يسار قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم أو قال حدثني أبي بكر الصديق. عن رسول الله ﷺ أنه قال الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل فقال أبوبكر وهل الشرك إلا من دعا مع الله إلها آخر فقال رسول الله ﷺ الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل ثم قال ألا أدلك على ما يذهب صغيره وكبيره قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم[٢] فهذه العقوبات الآخروية لبعض أهل الشرك الأصغر وهو الرياء وذلك هو السحب على وجوههم والقاؤهم في النار

(١) الحديث رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ووثقه ابن حبان انظر مجمع الزوائد ج١٠ ص٢٢.
وكذلك انظر اتحاف الأنام لخطب رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم خليل الخطيب ص٨١.

(٢) الحديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير للألباني ج٣ ص٢٣٣ ومعنى الشرك فيكم أي في هذه الأمة.
معنى أخفى من دبيب النمل قال الغزالي ولذلك عجز عن الوقوف على غوائله سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد وهو من أوفر غوائل النفس وبواطن مكائدها وإنما يعنى بها العلمـاء والعباد المشمرون عن ساق الجد بسلوك سبيل الآخرة وقد أطال الكلام محمد عبدالرؤوف المناوي في فيض القدير فليرجع إليه ج٤ ص١٧٣.
ومعنى قوله اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم الحديث أن يقولها كل يوم ويحتمل أن يقولها كلما سبق للنفس الوقوف مع الأسباب وذلك لا يدفع عنك الأمن ولي خلقك وإذا تعوذت به أعاذك لأنه لا يجيب إلا من التجأ إليه وقصر نظر قلبه عليه انتهى المرجع السابق.

نعوذ بالله من ذلك وليس في الرياء إلا فساد العبد يكون الباعث له على ذلك العمل لغير الله وهوى ارادته أن ينسب إليه عمل أهل الاخلاص وهو وطر من أوطار النفس وحظ من حظوظها الدنيوية ولم يكن فيه شيء من الخضـوع لغير الله والتعـظيم لسـواه الذي هو معنى العبادة وإنما الباعث له على العمل غير الله وأما العمل نفسه فهو لله فلهذا كان شركا أصغر وكان مردودا على عامله لأنه غير مخلص لله وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين[1] فغير الخالص غير مأمور به وما لم يؤمر به فليس بعبادة الله وقد سمعت ما صح عن رسول الله ﷺ فيما أعده الله لصاحبه من الخـزي في الآخـرة فكيف ترى عقـوبـة من تعبـد لغير الله بغاية الخضوع مع غاية الذل والحب نسأل الله الاخلاص في العمل اللهم فاطـر السمـاوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم.

فصـــل

واعلم أن أصل عبادة الأصنام والأوثان ناشيء من تعظيم المخلوق بمـا لا يستحقـه قال الله ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون**

---

(١) الآية رقم ٥ من سورة البينة. والاخلاص أن يقصد الإنسان بعمله وجه الله.

الله﴾[1] وقد روى أحمد عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله ﷺ إنهم حرموا الحلال عليهم وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عباداتهم[2] وقال حذيفة وابن عباس وغيرهم أي اتبعوهم فيما حللوا وحرموا ولما كان شرع الأحكام من خواص الإلهية وعظموا بعض عباده بما لم يأذن به الله في ذلك فاتبعوهم بلا هدي ولا كتاب منير سماهم الله بهذا الإتباع متخذين أربابا من دون الله قال البخاري في صحيحه وقال عطا عن ابن عباس صارت الأوثـان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا[3] أوحي الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم

---

(١) الآية رقم ٣١ من سورة التوبة. والاحبار جمع حبر والمراد العلماء من اليهود والنصارى والرهبان جمع راهب وهو العابد من االنصارى.

(٢) وفي الحديث أن هذا التفسير لقوله تعالى ﴿اتخذوا احبارهم وارببابهم أربابا من دون الله﴾ أي فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم حين جاء مسلما ودخل على النبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية والحديث ضعيف رواه الترمذي وابن جرير والبيهقي عن عدي بن حاتم باسناد ضعيف قال الترمذي حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالسلام وعطيف بن أمين ليس معروفا في الحديث كما ضعفه الدارقطني وجزم الحافظ في التقريب بضعفه.

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه في تفسير سورة نوح. أنظر فتح الباري ج٨ ص٦٦٧. وقوله أما ود فكانت لكلب قال ابن اسحاق كانت لكلب بن وبدة بن قضاعة وقال الحافظ في الفتح وبدة هو ابن ثعلب بن عمران ابن الحاف بن قضاعة وبدة بضم الدال والجندل بفتح الجيم وسكون النون مدينة بالشام.

التي كانوا يجلسون إليها انصاباً وسموها بأسمائهم. فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت وقال ابن جرير عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس ويعوق ونسرا قال كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال أنما كانوا يعبدونهم وبهم يستسقون المطر فعبدوهم وقال غير واحد من السلف كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فلما طال عليهم الأمد عبدوهم فمفسدة الشرك التي هي أعظم المفاسد أصلها تعظيم المخلوق بما لا يستحقه واعطاؤه فوق منزلته.

فصل

ومن تعظيم المخلوق بما لا يستحقه والغلو فيه نشأت عبادة اللآت فأخرج البخاري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال كانت اللات رجلا يلت السويق للحجاج[١] وروى ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرؤا اللات بتشديد التاء وفسروه بأنه كان رجلا يلت[٢]

(١) الحديث موجود في صحيح البخارى. انظر فتح البارى ج٨ ص٦١١.
(٢) ومعنى يلت يعجن.

للحجيج في الجاهلية السويق[١] فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه[٢] فقد رأيت أن سبب عبادة ود ويغوث ويعوق ونسر واللات كان من تعظيمهم المخلوق بمـا لم يأذن به الله حتى عظموا قبورهم وجعلوا لها تماثيل ولهذا نهى الشارع الحكيم عن اتخاذ المساجد على القبور ولعن على ذلك ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة فذكرت له ما رأت فيها من الصور فقال رسول الله ﷺ أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصـالـح بنوا على قبره مسجدا أو صورا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله[٣] وهو في الصحيحين عن أم حبيبة وأم سلمة أيضا ذكرتا كنيسة رأيتها الحديث وفي الصحيح عن عائشة وعبدالله بن عباس قال

---

(١) السويق: دقيق الحنطة أو الشعير.
وهذا الرجل كان في الجاهلية على صخرة بالطائف وعليها له غنم فكان يسلو من رسلها ويأخذ من زبيب الطائف والأقط فيجعل منه حبا ويطعم من يمر به من الناس فلما مات عبدوه وزعم بعض الناس أنه عامر بن الدرب العرواني وكان حكم العرب في زمانه وفيه يقول شاعرهم:

ومنا حكم يقضي ... ولا ينقض ما يقضي

وحكى السهيلي أنه عمرو بن محيى بن قمعة بن إلياس بن مضر وهناك أقوال كثيرة في اسمه. انظر فتح الباري للحافظ بن حجر ج٨ ص٤٧٨.

(٢) أنظر تفسير ابن جرير ج٧ ص٢٤.

(٣) الحديث رواه البخارى ج١ ص ٢٣٢.
مسلم ج (٥) ص٣٦٥.
والكنيسة يقـال لهـا سارية معبـد النصارى وبوب لها البخاري باب بناء المسجد على الضريح. انظر فتح الباري ج٣ ص٢٤٧.

لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة[1] له على وجهه فإذا اغتم كشفها فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود (والنصارى) اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[2] يحذر ما صنعوا وفي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال قاتل الله اليهود والنصارى[3] فاتخاذ المساجد على القبور تعظيم لها ولذا حكى الله عن الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف أنهم قالوا لنتخذن عليهم مسجدا قد صار هذا التعظيم لها وسيلة إلى الفتنة بها ولهذا نهى عنه ﷺ في آخر حياته ولعن وهو في السياق فاعل ذلك لأن هذه العلة هي التي أوقعت كثيرا من الأمم في الشرك الأكبر والأصغر. ولذا تجد أقواما يتضرعون عندها ويخشون بعبادة لا يفعلونها في مواضع العبادات ولا أوقات الإجابة ويرجون من بركة ذلك ما لا يرجون في المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال[4].

---

(١) انـظر شرح النووي على صحيح مسلم ج٥ ص١٢ واخـرجـه البخـاري ج١ ص١١٤ والخميصة الكساء المعلم ومعنى واغتم بها احتبس نفسه عن الخروج ازالها عن وجه.

(٢) مساجد أي كنائس وبيع يتعبدون فيها ومثل ذلك قبور الأنبياء والصالحين قال ابن القيم يجب هدم القباب التي على القبور لأنها بنيت على معصية.

(٣) انظر المرجع السابق ج٥ ص١٢، ١٣ والنصارى اضافه من المحقق

(٤) قال في معارج الألباب ومما يدل على ذلك أن كثيرا من العامة يتخذ قسطا من رعيته أو من غنمه لابن علوان ويقبضه قوم يقال لها الماصيب هم من الدعاة للشرك بالله أو رؤوسهم فيحملون العامة بتهويلاتهم ومسائلهم الشيطانية ليسارع الناس إلى دفع شيء من حطام الدنيا ومن تأخر فليحذر هجوم رسولهم في الليل حتى يذروا القوم بلا قلوب ولا عقول ولا أديان بل أشبه الأنعام والمجانين يصدقون الكذب ويعتقدون المعدوم ويعطون من حرم الله ويمنعون من أمر الله بإعطائه من الآباء وذوي القربى لتجدهم يحاذرون ويرجون من هؤلاء ما لا شيء منه مع بارئهم وفاطرهم لجهلهم بحقه بل يحرصون على براءة نفوسهم من ندرة والقيام في طاعته وبإرضاء من يأتي من قبله من منصوب أو مجزوم أو غيرهما ويطوفون نحو

فصـــل

ولأجـل هذه المفسـدة الناشئة من تعظيم المخلوق بما لا يستحقه حسم النبي ﷺ مادتهـا حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا وقال (والأرض كلهـا مسجدا إلا المقبرة) صححه ابن حبان والحاكم وإليه مال[١] ابن دقيق العيد في الإلهـام وأوضـح من هذا أنه ﷺ نهى عن الصلاة إلى القبر فروى مسلم في الصحيح عن أبي مرشد أن رسول الله ﷺ قال (لاتصلوا على القبور ولا تصلوا إليها)[٢] وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة فذاك في لعنة رسول الله ﷺ واعلم أن المنع من الصلاة عند القبر هو مما استقر عند الصحابة سواء كان من قبور الأنبياء والصالحين أو غيرهم وعلموه من نهي رسول الله ﷺ عن الصلاة عند القبور فذكر البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب وأنس بن مالك كان يصلي عند قبر فقال القبر القبر وقد رواه ابن نعيم شيخ البخارى موصولاً ولفظه بينما أنس يصلي فناداه عمر القبر القبر فظن أنه يعني القمر فلما رأى أنه يعني القبر حاز وصلى وفي طريق أخرى له من حديث حميد عن أنس نحوه وزاد فقال بعض من يليني إنما يعني القبر فتنحيت فهذا النهي من الرسول ﷺ في القبور من باب سد الذرائع الموصلة إلى الشرك بالله.

الراية ويحمون بها ويرجون من كل ذلك نفعا ودفعا وإذا أتاهم من يدعوهم إلى الخير والإنفاق في سبيل الله وصلة الرحم ما قدروا على أقل من ما يدفعونه للمنصوب بكثير وقد أطال البحث حول أصحاب القبور الشيخ العلامة حسين بن مهدي النعمي المتوفي في عام ١١٨٧ في كتابه معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ص٢٠٨، ٢٠٩.

(١) في الأصل مل والصواب ما أثبتناه.

(٢) الحديث رواه مسلم انظر النووي على مسلم ج٧ ص٣٨.

فصـــل

ولمـا كان التسريج وسيلة إلى تعظيم صاحب القبر ومن هناك تنشأ مفسـدة الشـرك. لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذات عليها السرج رواه الإمام أحمد(١) وغيره من رواية زيد بن ثابت(٢) ومن ذلك البناء على القبور وتجصيصها لما كان ذلك دالا على التعظيم للميت وذاك من وسائل الشرك نهى رسول الله ﷺ عنه حتى نهى عن الكتابة عليه روى مسلم في الصحيح عن جابر أن رسول الله ﷺ نهى عن تجصيص القبر وأن يكتب(٣) عليه وأن يبنى عليه.

فصـــل

ولما كان اتخاذ القبور أعياداً عنوان التعظيم لها وتعريضاً للفتنة لها نهى الـرسول ﷺ عنه فقال: «**لا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» وهـــذا حديث حسن رواتـــه ثقـات رواه

---

(١) الحديث أورده الإمام أحمد في مسنده أنظر الفتح الرباني ج٨ ص١٦.

(٢) رواه أحمد عن ابن عباس لا عن زيد بن ثابت ولعل هناك رواية أخرى والحديث قال الترمذي حديث ابن عباس حسن انظر المرجع السابق والنهج السديد ص١١٨ والسرج جمع سراج والنهي عن السرج احتراز عن تعظيم القبور واتخاذها مساجد وقد روي أحاديث كثيرة في لعن زائرات القبور.

(٣) أنظر صحيح مسلم مع النووي ص٣٧ ج٧ ولفظه أن يقعد عليه بدلا من أن يكتب عليه.

أبـوداوود[1] عن أحمد بن صالح عن عبدالله بن نافع الصايغ صاحب مالك قال فيه ابن معين هو ثقة وقال غيره كتابه أصح

وكان مالك لا يقدِّم عليه أحد وقال أبوزرعة لا بأس به وقال النسائي ليس به بأس وقال مرة ثقة وهذا الحديث قد أخرجه أبو يعلي الموصلي[2] عن علي بن الحسن أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فيها فقال ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسـول الله ﷺ قال: «**لا تتخـذوا قبـري عيـداً ولا بيـوتكم قبـوراً فإن تسليمكم يبلغني أينمـا كنتم**»[3] ورواه أبـو **عبـدالله** محمـد بن عبدالواحد المقـدسي[4] الحـافظ في المختـاره من الأحـاديث الجياد الزائد على الصحيح وأخرج سعيد بن منصور عن سهيل بن أبي سهيل قال رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة رضي الله عنها يتعشى فقال: هلم إلى العشاء فقلت: لا أريده فقال: ما لي رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) الحديث رواه أبوداوود في كتاب الجنائز باب زيارة القبور عن أبي هريرة. انظر السنن مع العون ج٦ ص**٣١**.

(٢) هو أحمد بن المثنى التميمي الموصلي ولد في ثالث شوال سنة عشر ومائتين وتوفي في اليوم الرابع عشر من جمادي الأولى سنة سبع وثلثمائة له مؤلفات من أهمها المسند.

(٣) الحديث صحيح جيد الإسناد وله شواهد كثيرة أنظر تيسير العزيز الحميد ص**٣٥٥**.

(٤) محمد بن عبدالواحد بن أحمد المقدسي أبوعبدالله ضياء الدين عالما بالحديث مؤرخ من أهل دمشق مولدا ووفاة بنى فيها مدرسة دار الحديث ووقف بها كتبه ورحل إلى بغداد ومصر وفـارس من كتبـه الأحكـام في الحديث وفضائل الأعمال والأحاديث المختارة وغيرها من المؤلفات انتهى الأعلام للزركلي ج٦ ص**٢٥٥**.

فقال إذا دخلت المسجد فسلم ثم قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم مقابر لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد(١) وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم(٢) ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء فوجه الدلالة أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيدا والعيد ما يعتاد مجيئه وقصده من مكان وزمان(٣) لعبادة أو غير عبادة ولما كان اتخاذ القبور أعيادا وسيلة إلى الفتنة بها نهي الرسول ﷺ عن ذلك لأن الرسل صلوات الله عليهم بعثت بالدعوة إلى الله وإخلاص التوحيد للحميد المجيد فسدت كل ذريعة تجر إلى الشرك بالله كما قال تعالى ﴿ولا

---

(١) ومعنى اتخاذها مساجد يصدف عليها بناء المساجد عليها وجعلها في باطنها إذ أن المعلوم ألا يتخذ القبر نفسه مسجدا بل يتخذ ما يتصل به وينسب إليه وسواء كان في قبلة المسجد فتكون الصلاة إليه أو من جوانبه يصدق أنه أتخذ مسجداً وهذا من الشرك الأكبر انتهى العدة لمحمد اسماعيل الأمير ج٣ ص٢٦.

والصحيح أن الصلاة تحرم على القبور واليها ويعد من اتخذها مسجدا ملعونا من فعله وإن لم يبن مسجدا فتحرم الصلاة في القبور وإلى القبور.

والأحاديث في هذا كثيرة منها حديث عائشة رضي الله عنها لعن الله اليهود والنصارى واتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا.

(٢) الحديث الذي روي عن سعيد بن منصور موجود في كتاب تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله وهناك فرق بين الروايات بتقديم وتأخير في بعض الكلمات. أنظر تيسير العزيز الحميد ص٣٥٦.

(٣) وفي هذا الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره ﷺ وإلى غيره من القبور والمشاهد لأن ذلك من اتخاذها اعيادا ومن أعظم أسباب الشرك بأصحابها كما وقع من عباد القبور الذين يشدون إليها الرحال وينفقون في ذلك الكثير من الأموال وليس لهم مقصد سوى مجرد الزيارة للقبور بل تبركاً بتلك القباب والجدران.

يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾[1]

وتعظيم الرسل إنما هو باتباعهم فيما جاءوا به كما قال تعالى ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾[2].

فصـــل

فإذا علمت أن الرسول ﷺ نهي عن اتخاذ القبور مساجد وعن الصلاة عنـدهـا ولعن فاعل ذلك ونهى عن اتخاذ القبور أعيادا علمت تحريم العكوف عند القبور والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها إذ العكوف أشد قبحاً وأعظم وسيلة إلى الكفر من اعتياد القبر وليس العكوف عند القبر من دين أهل الإسلام بل هو من دين المشركين الذين أخبر الله عنهم بما ذكره في كتابه حيث قال ﴿**ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالـوا وجـدنا أباءنا لها عابدين. قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين**﴾[3] وقـال تعـالى ﴿**واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون. قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين**﴾[4] وقال تعالى ﴿**وجاوزنا ببني إسـرائيـل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعـل لنـا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون**﴾[5] فهذا

---

(١) الآية رقم ٨٠ من سورة آل عمران.
(٢) الآية رقم ٣١ من سورة آل عمران.
(٣) الآيات رقم ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤ من سورة الأنبياء.
(٤) الآية رقم ٧١ من سورة الشعراء.
(٥) الآية رقم ١٣٨ من سورة الأعراف.

عكوف المشركين ومن زعم أن العكوف عند القبور عبادة وقربة فقد ابتدع في الدين ما ليس فيه وكل بدعة ضلالة وشرع في الدين ما لم يأذن به الله وقد تقدم أن أصل عبادة الأصنام العكوف عند قبور الصالحين حتى عبدوهم وأما عكوف المسلمين ففي المساجد لعبادة الله وحده لا شريك له في الصلاة والدعاء والذكر والقرآن كما قال تعالى ﴿**ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد**﴾(١) وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى قبضه(٢) الله فهذا عكوف المسلمين وذاك عكوف المشركين وأما تعليق الستور فهو من خواص البيت الحرام لا يشاركه غيره فيه من المساجد ومن علق سترا على غير الكعبة فقد شرع في الدين ما لم يأذن به الله ودع عنك تعليق الستور على القبور فما هو وسيلة إلى الكفر فهذا أشد تحريما.

فصـــل

فكم نشأ من تعظيم المخلوق من حي وميت بما لم يأذن به الله والغلو فيه بما نهى الله عنه من مفاسد وفتن(٣) يغضب لأجلها من في قلبه بعض حياة وغيرة على التوحيد وذلك كاتخاذها أعياداً وقد نتج عن ذلك الصلاة

---

(١) الآية رقم ١٨٧ من سورة البقرة.

(٢) الحديث رواه البخاري ومسلم.

(٣) فمنها تعظيم الموقع في الإفتتان بها ومنها اتخاذها أعيادا والسفر إليها ومنها اعتقاد المشركين فيها أن بها يُكشف البلاء ويُنتصر على الأعداء ويتنزل غيث السماء وتنفرج الكربات وتقضي الحوائج وينصر المظلوم. وأصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم فإنهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم، انتهى تيسير العزيز الحميد ص٧٠٥.

عنـدها وعبادتها كالطواف بها وتقبيلها واستلامها[1] وتعفير الخدود على ترابهـا والاستعـانة بهم وسؤالهم المطر والنصر والرزق والعافية وتفريج الكربات وإغاثة اللهفان وغير ذلك كقولهم على الله وعليك وضادُّوا ما صح عن رسول الله ﷺ في ذلك فإنه ﷺ نهى عن اتخاذها مساجد ولعن على ذلـك وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسموها المشاهد ونهى عن إبقاء السرج عليها ولعن من فعل ذلك وهؤلاء ينفقون الوقوف على ايقادها اعانة لمن لعنه الله وأمر ﷺ بتسويتها كما صح ذلك من حديث علي بن أبي طالب وفضـالـة بن عبيد وهؤلاء يرفعـونهـا عن الأرض ونهى عن تجصيصها والبناء عليها كما رواه مسلم عن جابر ونهى عن الكتابة عليها وأن يزاد عليها غير ترابها كما رواه أبوداوود عن جابر أيضا وهؤلاء يتخذون الألـواح يكتبـون عليهـا القـرآن وغيره ويزينـون عليهـا التـراب والآجر والأحجار فحادوا الله ورسوله.

---

(١) وحاصل القول أن من أدعى مع الله آلهة غيره فقد أشرك به في ألوهيته من حيث أنه صرف له شيئا من عبادته التي يجب افراده بها ولزمه الشرك به في الربوبية حيث اعتقد متصرفا مع الله في ما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات ولزمه الإشراك بالله في أسمائه وصفاته حيث اعتقد أن ذلك المدعو سميع لدعاء من قرب أو بُعدْ حيا كان أو ميتا وأنه قدير على اسعافه بمطلوبه وإن كان من الأمور الغيبية أو الكونية كانزال المطر وكشف الوباء وشفاء المـريض ورد الغـائب وغير ذلـك انتهى من شرح كتـاب التوحيد للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي مخطوط.

فصل

والذي شرعه رسول الله ﷺ عند زيارة القبور إنما هو لذكر الآخرة والاستغفار للميت والترحم له وسؤال العافية[١] فقلب أهل الضلال الأمر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بأهل القبور وسؤالهم حوائجهم كالمطر والرزق والنصر على الأعداء[٢] عكس ما كان عليه ﷺ فقد كان رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول (**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**[٣]) رواه مسلم في الصحيح عن عائشة وفي مسلم أيضا عن سليمان بن بريدة[٤] قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا (**السلام على أهل الديار**) وفي لفظ (**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية**)[٥] وفي مسند الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) فيكون الزائر محسنا إلى نفسه بالإتقاظ أو إلى الميت بدعائه واستغفاره له لحديث مسلم قال ﷺ (زوروا القبور فإنها تذكركم الموت).

(٢) فصاروا مسيئين إلى أنفسهم وإلى الميت وقد نهى النبي ﷺ عن زيارة القبور لأنها الذريعة فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم بزيارتها ونهاهم عن الشرك.

(٣) ونصه عن عائشة أنها قالت كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد).

(٤) في الأصل (يزيد والصواب ما اثبتناه.

(٥) الحديث موجود في صحيح مسلم انظر شرح النووي ج (٧) ص(٤٥).

قال «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة»[١] وفي مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «زوروا القبور فإنها تذكر الموت»[٢] وعن بريدة قال قال رسول الله ﷺ «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجرا»[٣] رواه أحمد والنسائي فقد كان صلى الله عليه وسلم نهى الرجال عن زيارة القبور سداً للذريعة فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الأمر الذي شرعه لهم ونهاهم أن يقولوا هجراً فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وعلمهم إياها لأن الميت محتاج إلى من يدعو له بالمغفرة ولم يفعل السلف عند القبور إلا ما أذن لهم رسول الله ﷺ فيها من السلام على أصحابها والاستغفار لهم والترحم عليهم فهذه سنة رسول الله ﷺ في زيارة القبور وسنة أصحابه حتى جاء الخلف[٤] في الدين يفعلون ما لايؤمرون فقصدوا القبور للطواف بها والتمسح وهتفوا بها عند الشدائد وعكفوا عندها ورتبوا لها السدنة وتقربوا إليها بالذبائح والنذور وسلكوا ما سلكه المشركون في عبادة أصنامهم أنها تشفع عند الله وأنها تنفعهم وتقربهم إلى الله زلفى كما قال تعالى ﴿ما نعبدهم إلا

---

(١) الحديث موجود في الفتح الرباني ج٨ ص١٥٧ والحديث طويل.

(٢) ولفظه زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج٧ ص٤٦.

(٣) الحديث رواه أحمد عن أبي سعيد وعن أنس بن مالك رضي الله عنهم وللحديث روايات مختلفة أوردها صاحب الفتح الرباني ج٨ ص١٥٨ ومعنى هجرا بضم الهاء أي فحشاً.

(٤) المراد بالخلف هم الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى في كتابه ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾.

ليقربونا إلى الله زلفى﴾[١] وشبهوا ذلك بمن له جاه عند سلطان ما لتعلق به ينفعه عند السلطان لحاجة السلطان إلى الشافع فيحتاج إلى قبول شفاعته كما قال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لايعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[٢]ولم تعبد الأصنام إلا بالمقاييس وقد أخبر الله سبحانه أن الشفاعة له جميعا فقال: ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض﴾[٣] وقال ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع﴾ وقال ﴿وانذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع﴾[٤]فأخبر أن ليس للعباد شفيع من دونه بل إذا أراد سبحانه أذن في الشفاعة في أهل الإخلاص كما أخرج البخاري عن أبي هريرة قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال له أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة

---

(١) الآية رقم ٣ من سورة الزمر والمعنى أن المشركين يعتقدون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وهذا عين الشرك وقد أنكره الله عليهم في كتابه وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها لله وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن له تعالى أن يشفع ورضي قوله وعمله.

(٢) الآية رقم (١٨) من سورة يونس.

(٣) الآية رقم (٤٤) من سورة الزمر.

(٤) فالشفاعة لله وليس لمن تطلب منه ولا تطلب من مالكها وهو الله سبحانه لأن هذه عبادة ولا تصلح إلا لله. وفي الآية تقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه.

من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه(١) ونفسه، فهؤلاء هم الذبن ارتضى الله سبحانه كما قال (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى(٢)) (ولا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) وكقوله تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ وأخبر أنه يؤمئذ لا تحصل الشفاعة ولا تنفع إلا بعد رضاه قول المشفوع وإذنه للشافع فأما أهل الشرك فإنه لا أرتضاهم ولا رضي قولهم ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيهم وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾(٣) فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف ترجون أيها الجاهلون بشفاعة الأفراد عند الله فسلك هؤلاء الجهال الضلال في هذه الأمة ما سلكه المشركون في عبادة الأصنام فتقربوا بالذبائح والنذور ولم يزل الشر يتزايد حتى ألف قوم مناسك القبور وغير ذلك وإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) رواه البخاري والنسائي.

(٢) سورة طه (١٠٩). وخص الذين يخافون بالذكر لاعترافهم بصحة المعاد والمحشر أهـ. تحقيق التحرير للعجيلي مخطوط ص٦٥.

(٣) الآية رقم ٢٦ من سورة النجم,
فالشفاعه لها شرطان.
أ ـ الإذن من الله ب ـ الرضا عن المشفوع.

فصـــل

وقد سلك أصحاب رسول الله ﷺ في حماية جانب التوحيد مسلكه ﷺ[١] وسدوا الذرائع الموصلة إلى الشرك بالله وتنزهوا من كل وسيلة تجر إلى الفتنة بالقبور وغيرها ففي مغازي ابن اسحاق من روايات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار حدثنا أبوالعالية قال لما فتحنا كستر وجدنا مال بيت الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر فدعا كعبا فنسخه بالعربية فأنا أول رجل من العرب قرأته مثل أن أقرأ القرآن هذا فقلت لأبي العالية ما كان قال سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كاين بعد قلت فما صنعتم بالـرجل قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها ليعمونه على الناس لا ينبشونه فقلت وما يرجونا منه قال كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا سريره فيمطرون قلت من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له دانيال فقلت منذ كم وجدتموه مات قال منذ ثلثمائة سنة قلت ما كان تغير منه شيء قال لا إلا شعيرات من قفاه إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع ففي هذه القصة ما

---

(١) بوب له الشيخ محمد بن عبدالوهاب لمسلكه ﷺ بقوله باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسد طرق الشرك ومعنى الحماية حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص كما في قوله ﷺ لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبدٌ فقولوا عبدالله ورسوله ونهى ﷺ عن أن يقولوا أنت سيدنا وقال السيد الله تعالى إلى غير ذلـك من الأحـاديث. والمعنى التحذير من كل ما يؤثر في بناء عقيدة التوحيد أو يضعفها في قلب المسلم.

فعله أصحاب رسول الله ﷺ من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله فهم قد عبدوا من هذه القبور من لا يقارب هذا وأقاموا عليها سدنة وجعلوها مناسك ومن عرف حال أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان تيقن أنهم درجوا على ما درج عليه نبيهم ﷺ من سد الذرائع الموصلة إلى الفتنة بالقبور وغيرها فروى ابن سعد قال أخبرنا عبدالوهاب بن عطا أخبرنا ابن عوف عن نافع قال كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها[1] فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت ومعرفة الشجرة في أيام عمر لا يقدح فيه ما رواه سعيد بن المسيب عن أبيه أنهم أنسوها فهو يحتمل نسيانه لها ومعرفة غيره لها أو أن الشجرة التي قطعها عمر كان الناس يقولون إنها شجرة الرضوان وإن لم يثبت معرفة عينها فالمراد قطع ما خشي عمر على الناس الإفتتان به من تلك الشجرة التي وقعت عندها بيعة الرضوان[2] فإذا كان هذا فعل عمر بالشجرة التي ذكر الله في القرآن أن أصحاب رسول الله ﷺ بايعوه تحتها فماذا حكمه في هذه الأنصاب والأوثان التي اشتدت البلية بها وقد تقدم انكار رسول الله ﷺ على من سأله من أصحابه أن يجعل لهم ذات أنواط لما رأوا سدرة

---

(١) وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن نافع قال بلغ عمر بن الخطاب أن اناسا يأتون الشجرة التي بويع تحتها فأمر بها فقطعت.

(٢) أي بيعة الرضوان بالحديبية قال تعالى ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة وقد بايعوا رسول الله ﷺ على الموت أو على عدم الفرار وذلك حينما أشيع أن عثمان رضي الله عنه قد قتل وصلح الحديبية كان في السنة السادسة للهجرة والقصة موضحة في كتب السير والتفسير.

ينوط بها المشركون أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال أبو واقد ونحن حديثو عهد للكفر فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي ﷺ الله أكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل اجعل لنا آله كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم فإذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها اتخاذ آلهة مع الله أنهم لا يعبدونها فما الظن بالعكوف عند قبر لدعاه فانظر لسيرة أصحاب رسول الله ﷺ وسدهم الوسائل الداعية إلى الشرك بالله وتأمل ما تراه من الخلوف من فتحهم الوسائل الموصلة إلى الشرك ومضادة ما عليه السلف فترى من مفاسد تعظيم المخلوق بما لم يأذن الله به مما يوصل إلى الشرك بالله فتراهم يقصدون معظمين عندهم يستدفعون بهم البلوى ويتمسحون بأيديهم وأرجلهم ويخضعون له أعظم من خضوعهم لله ويتخذونهم أندادا يحبونهم كحب الله وأشد ويسألونهم النصر والرزق وتفريج الكربات وينسبون إليهم من الافعال والتصرفات في العالم ما لا يقدر عليه إلا الله كقولهم فلان يفعل كذا أو يتصرف في العالم ولا يزال المتبوع يسمع من تابعه هذه الطامات حتى يؤثر ذلك في قلبه فيفتح له إبليس من دعوى خصوص بعض صفات الرب كعلم الغيب والوعد وتفريج الكربات وحصول المطر والرزق وربما وافق دعواه قدرا واجابة من الله للمضطر من عباده فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه كما جاء في قصة عم انس صنم خولان[1] وكان وفد خولان على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة عشر فقال يا رسول الله نحن على من

(١) كان له صنم اسمه عم أنس ولما رجعوا هدموه. أنظر محمد ﷺ لمحمد رشيد رضا ص٣٥١.

ورانا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله قد ضربنا إليك أباط الإبل وركبنا حزون الأرض وسهولها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ماذكرتم من مسيركم إليّ فإن لكم بكل خطوه خطاها بعير أحدكم حسنه وأما قولكم زائـرين لك أنه من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة قالوا يا رسول الله هذا السفر الذي لا تودع عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل عم انس وهو صنم خولان الذي كانوا يعبدون قالوا أبشر بدلنـا الله ما جئت به وقد بقيت منا بقايا من شيخ كبير وعجوزه كبيره ممسكون به ولو قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله فقد كنا منه في غرور وفتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أعظم ما رأيتم من فتنة قالوا لقد رأينا واستننا حتى اكلنا الرمه فجمعنا ما قدرنا عليه فأتينا بمائة ثور لعم أنس قربانا في غداه واحده وتركناها تردها السباع ونحن أحوج إليها من السباع فجانا الغيث من ساعتنا ولقد رأينا العشب يواري الرجال ويقول قائلنا انعم علينا عم انس وذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يقسمن لصنمهم هذا من أنعامهم وحرثهم وأنهم كانوا يجعلون من ذلك جزاء له جزاء لله بزعمهم قالوا كنا نزرع الزرع نجعل له وسطه فنسميه له ونسميه زرعا آخر حجره لله فإذا مالت الريح بالذي سميناه لله جعلناه لعم انس وإذا مالت الرياح للذي جعلناه لعم انس لم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل علي في ذلك ﴿**وجعلوا** لله **ممـا ذرأ** من **الحـرث والأنعـام نصيبـا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا**﴾ الآية[1] وقالوا وكنا نتحاكم إليه فنكلم فقال رسول الله صلى

(١) الآية رقم ١٣٦ من سورة الأنعام.

الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم وسـألـوه عن فرائض فأخبرهم بالوفاء بالعهد وأدى الأمانة وحسن الجوار لمن جاور وان لا يظلموا أحد فقال الظلم ظلمات يوم القيامه ثم ودعوه بعد أيام وأجازهم ورجعوا إلى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا عم أنس.

فصــــل

وانظر في مسارعة هذا الوفد في امتثال أمر الله وإيفائهم بما وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لو قدموا على صنم خولان هدموه فلمـا رجعـوا إلى قومهم لم يحلوا عقده حتى هدموا عم أنس فالرسل بعثت لكسـر الأصنـام فقد حكى الله عن خليله لتكسيره لأصنام قومه فجعلهم جذاذا فراغ عليهم ضربا باليمين وحكى الله عن كليمه موسى عليه السـلام قولـه للسامري وانظر إلى إلهك الذي ظللت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو ولما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح جعل يطعن الأصنام ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ونادى منادي رسول الله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع صنما إلا كسره وبث السرايا إلى الأصنام التي حول مكة فكسر منها العزى ومناة وسواع وذا الكفين فبعث خالد بن الوليد إلى العزى[1] وهي سمرة وبعث عمرو ابن العاص لسواع[2] وهو

---

(١) والعزى أكبر صنم لقريش وكان هيكله ببطن نخله انظر اليقين للخضري ص٢١٦.

(٢) وسواع أعظم صنم لهذيل وهيكله بالقرب من مكه المكرمة المرجع السابق ص٢١٦.

صنم هذيل فهـدمـه وبعث سعـد ابن زيد الأشهلى إلى مناة[١] وبعث الطفيل ابن عمر إلى ذى الكفين صنم دوس فهدمه ثم بعث علي ابن ابي طالب في سنة تسع إلى الفلس صنم طى[٢] ليهدمه ولما أسلمت ثقيف بعـث أبي سفيان والمغيرة[٣] لهـدم الـلات وهـذا معلوم من ضروريات ما بعثت به الرسل ومن هنا نعلم وجوب هدم المشاهد وقد تقدمت الأحاديث الدالة على تحريم البناء على القبور قريبا.

فصـــل

والذي أوقع عباد القبور في الإفتتان بها هو الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسله من التـوحيد وقطع اسباب الشرك فقل نصيبهم من العلم ودعاهم الشيطان إلى فتنته فاستجابوا له ولم يكن عندهم من العلم ما يبطل دعوته وان كثيرا من الناس ليضلون باهوائهم بغير علم فأركسهم الله بذنوبهم وذلك كقصة صنم خولان وما حصل لعابديه من الفتنة بما يرسل الله تعالى من الغيث عند الذبح له إختباراً منه لعبادة وفتنة لهم ﴿**إن هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين وليس كل من أجاب الله دعائه يكون عنه راضيا بفعله فإنه يجيب البر والفاجر والمؤمن والكافر وقد قال الله تعالى ﴿كلا نمد**

(١) ومناة صنم لكلب وخزاعة المرجع السابق ص٢١٦.

(٢) وذلك سنة تسع من الهجرة ص١٥٠ رجلا من الأنصار انظر محمد رسول الله لمحمد رشيد رضا ص٣٣٥.

(٣) المغيره أي المغيره ابن شعبه انظر نور اليقين ص٢٣٩.

هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا﴾[١] وقد أجاب دعاء بلعم بن باعور[٢] وهو مفتر في دعائه وكان عاقبته كما ذكر الله **﴿مثله كمثل الكلب﴾**[٣] مع ما أعد الله له في الآخرة من الخزى.

(١) الآية رقم ٢٠ من سورة الإسراء.

(٢) وكـان قد حفظ بعض الكتب المنزلة وقيل اسمه باعم رجلا من بني اسرائيل وقيل أمية بن الصلت النقلي وقيل غير ذلك. انظر فتح القدير ج٢ ص٢٦٥ الآية رقم ١٧٦ الأعراف،

(٣) الآية رقم ١٧٦ من سورة الأعراف.

باب

قوله تعالى ﴿**يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون**﴾(١) رتب الله تعالى على هذه الدلائل وجوب عبادته وحده ونهى أن يجعل له أندادا من خلقه لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا لعابديهم فاستدل على توحيده تعالى بقوله الذي خلقكم وبدأ الاستدلال بالأظهر فالأظهر فجعل الاستدلال لخلق نفوسهم مقدما على جميع الاستدلال لأن علم كل أحد بنفسه إثم من علمه بأحوال غيره فيجد بالضرورة من نفسه أنه تارة سقيما وتارة صحيحا وتارة شيخا وتارة شابا والأنتقال من هذه الصفات ليست بإختياره وكثيرا ما يجتهد في طلب شيء فلا يجده وكثيرا ما يكون غافلا فيحصل ذلك له ويجتهد العاقل الذكي فيحرم ويتيسر للغبي ذلك المطلوب ويظهر لك سر قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وهذه الاعتبارات غير محصورة.

فلما كان اطلاع كل احد على أحوال نفسه أهم من اطلاعه على أحوال غيره قدم هنا الدليل على سائر الأدلة ثم تتلو هذه المرتبة مرتبة أخرى وهو علم كل أحد بأحوال آبائه وأجداده وأهل بلدته ثم يتلو هذه

---

(١) الآيات رقم ٢١، ٢٢ من سورة البقرة.

المرتبة مرتبة ثالثة وهي علم الإنسان بأحوال الأرض التي هي مسكنه فإن علم الإنسان بحال عرصه بيته أتم من علمه بحال سقف بيته فهي متخالفة كما قال تعالى ﴿**وفي الأرض قطع متجاورات ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها**﴾(١) ثم يتلو هذه المرتبة مرتبة رابعة وهي العلم بأحوال الافلاك واختلاف أحوال الكواكب في الصغر والكبر والبطء والسرعة والإنارة والإضاءة ثم بعد هذه المرتبة مرتبة خامسة وهي الأحوال المنزلة بين السماء والأرض وهي نزول المطر من السماء إلى الأرض ثم بعد ذلك يحدث الله في الأرض الوعرة انواعا من النباتات يخالف كل واحد منها صاحبه في اللون والشكل والطعام والخاصية فمنه ما يكون قوتا ومنه ما يكون اداما ومنه ما يكون فاكهة ومنه ما يكون دواء ومنه ما يكون سما ومنه ما يكون علفا لسائر الحيوانات فسبحان من لا نهاية لعلمه ولا غاية لحكمته فنهى الله عباده أن يجعلوا له نداً من خلقه فإن المنفرد بملكوت السموات والأرض والند هو المثل قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿**ولا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون**﴾ قال أنداداً أشباهاً وفي رواية عنه (فلا تجعلوا)(٢) لله أنداداً وأنت تعلمون أي لا تشركوا بالله غيره من الانداد التي لا تنفع ولا تضر وانتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول إلى توحيده وهو الحق لاشك فيه وقال ابن مسعود في قوله تعالى ولا تجعلوا لله اندادا قال أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله وتفسير ابن مسعود اعم من تفسير غيره وفي الصحيح عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله أي الذنب

---

(١) الآية رقم **٢٧** من سورة فاطر.

(٢) بوب له الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوله تعالى ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾.

اعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك الحديث وأخرج أحمد والنسائي عن قتيلة بنت صيفي وهي صحابية من المهاجرات أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انكم لأنتم القوم انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ويقول أحدهم ما شاء الله ثم شئت[1] وعن الطفيل بن شجرة أخي عائشة أم المؤمنين لأمها قال رأيت فيما يرى النائم كاني أتيت على نفر من اليهود فقلت من أنتم قالوا نحن اليهود قلت أنكم لآنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير بن الله قالوا وانتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ثم مررت بنفر من الانصار فقلت من أنتم قالوا نحن النصارى قلت إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح بن الله قالوا وانكم لأنتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد فلما اصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم اتيت النبي ﷺ فأخبرته به فقال اخبرت بها أحدا قلت نعم فقام فحمد الله واثنى عليه ثم قال أما بعد فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا ان انهاكم عنها فلا تقولوا شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده أخرجه أحمد[2] وابن ماجه والبيهقي[3] عن

---

(١) الحديث رواه النسائي في السنة واليوم والليلة ورواه أحمد ورواه ابن سعد في مسنده.

(٢) رواه أحمد والنسائي نحوه.

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه عن حذيفة بن اليمان كتاب الكفارات باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت انظر سنن ابن ماجه جـ(١) ص (٦٨٥) ورقم الحديث ٢١١٨ والحديث صححه الالباني انظر صحيح بن ماجه جـ١ ص [٣٦٢] وأخرجه البيهقي.
قال الالباني حديث حسن صحيح انظر صحيح بن ماجه جـ [١] ص [٣٦٢] رقم الحديث ١٧٢٠.

حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وأبوداود والنسائي وابن ماجه والبيهقي[1] وعن ابن عباس قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت قال اجعلتني لله ندا قال ما شاء الله وحده أخرجه بن أبي شيبة وأحمد والبخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن ماجه وهذا مع أن الله قد اثبت للعبد مشيئه كما قال الله تعالى ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ وقال الله تعالى ﴿ ﴿**فمن شاء منكم أن يستقيم**﴾ فكيف بمن يقول أنا متوكل على الله وعليك ومالي إلا الله وأنت والله لي في السماء وأنت في الأرض فهذه الألفاظ افحش من قول القائل ما شاء الله وشئت.

وقد أخرج بن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس في قوله عز وجل فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون قال الانداد[2] هو الشرك اخفى من دبيب النمل على صفا سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول وحياتك يا فلان وحياتي ويقول لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص ولولا البط في الدار لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلان هذا كله شرك[3] وقد أخرج ابن المنذر وابن

---

(١) وذلك لأن العطف بالواو لقصد التسويه بين المعطوف والمعطوف عليه لأن الواو لقصد الجمع وتسوية المخلوق بالخالق شرك أكبر.

(٢) الانداد: الشركاء يبين ابن عباس هذا كله من الشرك وهو الواقع اليوم على السنة كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك فينبغي أن ينتبه لهذه الأمور فإنها من المنكر العظيم ١ فتح المجيد ص [١٣] فلو قال لولا الله.
والسبب أن الواو تنقضي مساواة المعطوف عليه للمعطوف.

(٣) الحديث رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر.

أبي حاتم عن حذيفة بن اليمان عن أبي بكر أما حضر ذلك حذيفة من النبي ﷺ مع أبي بكر أو حدثه اياه أبوبكر عن النبي ﷺ قال قال: الشرك فيكم اخفى من دبيب النمل الحديث وفيه الند ان يقول الإنسان لولا فلان قتلني فلان.

بـــاب

ما جاء في الـنـهي عن الحلف[1] بغير الله من الآبـــاء والأمهـــات والطواغيت والكعبة[2] وغير ذلك عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال «ان الله ينهاكم ان تحلفوا بأبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» رواه مالك والبخاري[3] ومسلم وغيرهم وروى ابو داوود والنسائي عن ابن عمر ان النبي ﷺ سمع رجلا يحلف بأبيه فقال لا تحلفوا بأبائكم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرضى ومن لم يرضى بالله فليس من الله وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تحلفوا بأبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالانداد ولا تحلفوا إلا وانتم صادقون[4] رواه النسائي وعن عبدالرحمن بن سمرة عن النبي ﷺ قال «

---

(١) حكم الحلف لغير الله شرك أصغر.

(٢) والسبب في النهي أن الحلف تعـظيم واستشعار في القلب ويعظمه المحلوف به والتعظيم القائم على خضوع القلب عبادة لا تكون إلا لله وحده لذا كان الحلف بغير الله شرك.

(٣) رواه البخاري [١١] [٥٣٠] ومسلم ج٣ [١٤٦٦] [١٤٦٧] عن بن عمر.

(٤) الحـديث رواه النسـائي انـظر سنن النسائي بشرح السيوطي جـ [٧] ص[٥] والانداد أي الأصنام ونحوها مما كانوا يعتقدونها الهه في الجاهلية ورواه أبوداوود جـ٩ ص [٧٦] انظر السنن مع العون.

لاتحلفوا بأبائكم ولا بالطواغيت»[1]﴿وعن ابن عمر أنه سمع رجلا يقول لا والكعبة قال ابن عمر لا تحلف بغير الله فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول «كل يمين يحلف بها دون الله شرك» رواه الترمذي وقال حسن وابن حبان في صحيحه وقال الحاكم وقال صحيح على شرطهما وفي رواية للحاكم سمعت رسول الله ﷺ يقول «كل يمين يحلف بها دون الله شرك» قال ابن مسعود لأن أحلف بالله كاذبا احب إليّ من أن أحلف بغيره وأنا صادق رواه الطبراني موقوفا قال المنذري رواته رواة الصحيح .

بـــاب

من حلف باللات والعزى وكفارة ذلك عن سعد بن أبي وقاص قال كنا نذكر بعض الآلهة وأنا حديث عهد بالجاهلية فحلفت باللات والعزى فقال لي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما قلت إئت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نراك الا كفرت فأتيته فأخبرته فقال قل لا اله إلا الله وحده لا شريك له ثلاث مرات وتعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات واتفل عن يسارك ولا تقوله، وفي رواية أخرى قل لا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رواه النسائي[2] وفي الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) الحديث أخرجه النسائي عن عبدالرحمن بن سمره بنفس اللفظ.

(٢) الحديث أخرجه النسائي عن صعب بن سعد بنفس اللفظ انظر النسائي مع شرح السيوطي جـ٧ ص١٢٧ وفيه حديث آخر عن أبي هريرة من حلف منكم باللات والعزى فليقل لا اله إلا الله وذلك الحلف أن يحلف بلا قصد عن طريق العبادة بينهم لأنهم كانوا حديث عهد بالجاهلية أما الحلف بها على سبيل التعظيم فذلك شرك أكبر.

قال «من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لا اله الا الله ومن قال لصاحبه تعالى اقامرك فليتصدق

بـــــاب التحذير من الحلف بالامانة عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من حلف بالامانة فليس منا» رواه ابوداود[1]

باب ما جاء في أن الطيره شرك[2]

عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الطيره شرك وما منا الا وفي قلبه شيء من ذلك ولكن الله تعالى يذهبه بالتوكل» رواه ابوداود واللفظ له والترمذي[3] وعن ابن حبان من غير تكرار وقال الترمذي حسن صحيح وقوله ما منا إلى آخره هو مدرج من كلام ابن مسعود ليس كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره البخاري والخطابي وغيرهما.

---

(١) الحديث أخرجه أبوداود انظر السنن مع العون جـ٩ ص٧٩ ـ ٨٠ رقم الحديث [٣٣٣٧] وعلة التحريم أن الله تعالى أمر أن يحلف باسمائه وصفاته والامانة أمر من أموره فنهوا عنها من أجل التسوية بينها وبين أسماء الله تعالى كما نهوا عن الحلف بالآباء أ ـ هـ عون المعبود لمحمد شمس الحق أبادي ص [٨٠] جـ [٩].

(٢) جعلت الطيره من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعا أو يدفع لهم ضرا اذا علموا بموجبه فكأنهم شركوه مع الله عز وجل ص ٤٣٨ تيسير العزيز الحميد.

(٣) في الحديث أضمار والتقدير وما منا الا في قلبه شيء من ذلك أي يعتريه التطير انتهى المرجع السابق.

باب ما جاء في العيافة والطيرة والطرق من الجبت:

قال الله تعالى ﴿**الم ترى إلى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والـطاغوت**﴾ الجبت كل ما عبد من دون الله وقال الجوهري الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك وفي الحديث الطيره والعيافه والطرق من الجبت وعن قطر بن قبيصة عن أبيه قبيصة بن مخارق قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «العيافه والطيره والطرق من الجبت» رواه أحمد وابو داوود والنسائي.

وابن حبـان في صحيحـه وقـال عون احد رواته العيافه زجر الطير والطرق الخط يخط في الارض وقال ابوداود الطرق الزجر والعيافه الخط وقال بن فارس الطرق الظرب بالحصى وهو جنس من التكهن والجبت كل ما عبد من دون الله واما الطاغوت فهو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع من طغى يطغوا فطاغوت كل قوم من يعبدونه من دون الله أو يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه في معصية الله فهو طواغيت العالم وكثير من الناس فمن اعرض عن عبادة الله تعالى إلى عبادة الطاغوت وعن التحاكم إلى الله ورسوله الى التحاكم إلى الطاغوت ومتابعته.

باب ما جاء في الرقى والتمائم والتولة والحروز والتحذير منها

عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من علق تميمه فلا اتم الله له».

ومن علق ودعـة فلا ودع الله له رواه أحمـد وابـويعلي باسناد جيد

والحاكم وقال صحيح وعنه ايضا أنه جاء في ركب عشرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايع تسعة وامسك عن رجل منهم فقالوا ما شأنه فقال ان في عضده تميمه فقطع الرجل التميمه فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من علق تميمته فقد اشرك رواه أحمد والحاكم واللفظ له وقال المنذري ورواته ثقات.

التميمة: يقال انها خرزة كانوا يعلقونها يرون انها تدفع عنهم الافات واعتقاد هذا الرأي جهل وضلال اذ لا مانع ولا دافع الا الله وعن عيسى بن حمزة قال دخلت على عبدالله بن عكيم وله حمرة فقلت الا تعلق تميمة فقال اعوذ بالله من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من علق شيئا وكل اليه اخرجه ابوداود والترمذي إلا انه قال فقلنا الا تعلق شيئا قال الموت اقرب من ذلك.

باب من تعلق حلقة أو خيطا[1]

عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم «ابصر على عضد رجل حلقه قال من صفر فقال ويحك. ما هذه[2] فقال من الواهنه[3] قال اما أنها لا تزيدك الا وهنا انبذها[4] فانك لو مت وهي عليك ما

(١) أي لرفع البلاء أو دفعه.

(٢) أورده الذهبي قال المنذري رواته كلهم عن مبارك بن فضاله عن الحسن عن عمران بن حصين ورواه ابن حبان أيضا أ. هـ تيسير العزيز الحميد ص [١٥٦].

(٣) الواهنة عرق يأخذ في المنكب وفي اليد وقيل هو مرض يأخذ في العضد وربما غلق عليها شيء من خرز يقال له خرز الواهنة وهي تأخذ الرجال دون النساء. تيسير العزيز الحميد.

(٤) هذا اللفظ أبلغ منه قوله أنزعها ومعنى انبذها أطرحها وأبعدها.

أفلحت ابدا رواه أحمد بتمامه وابن ماجه بدون قوله انبذها عنك إلى آخره ورواه ابن حبان وقال فانك إذا مت وهي عليك وكلت إليها رواه الحاكم وصححه وعن زينب امراة ابن مسعود[1] قالت كان عبدالله اذا جاء س حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح كراهة ان يهجم منا على امر يكرهه قالت وانه جاء يوما فتنحنح قالت وعندى عجوز ترقينى من الحمرة فادخلتها تحت السرير قالت فدخل فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطا قال ما هذا الخيط قلت خيط رقي لي فيه قالت فأخذه فقطعه ثم قال ان آل عبدالله لأغنيا عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الرقا والتمائم والتولة شرك قالت قلت له لِمَ تقول هذا وقد كانت عيني تقذف فكنت اختلف إلى فلان اليهودي يرقاها فكان إذا رقاها سكنت قال إنما ذاك الشيطان ينخسها بيده فإذا رقاها كف عنها إنما كان يكفيك ان تقولي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(اذهب الباس رب الناس اشف انت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما)[2] وفي رواية لابن حبان قالوا يا ابا عبدالرحمن هذه الرقا والتمائم قد عرفناها فما التولة قال شيء يصنعه النساء يحببن إلى ازواجهن والتولة بكسر المثناة من فوق وتفتح.

---

(١) أي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) الحديث رواه أبو داود جـ [١٠] ص [٣٦٨] باب في تعليق التمائم رقم الحديث ٣٨٦٥ مع العون

باب فيما جاء في السحر[1]

قال الله عز وجل ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون . . . ﴾ الآية[2] عن ابى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله ما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وشهادة الزور» رواه البخاري ومسلم وغيرهما[3].

باب من عقد عقده ثم نفث فيها فقد سحر

قال تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال (من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر . ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل اليه» رواه النسائي من رواية الحسن عن ابي هريرة، وقوله من تعلق شيئا اى علق على نفسه العود والحروز.

---

(١) السحر في اللغة عبارة عن ما خفي ولطف سببه وهو عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه أ. هـ المرجع السابق ص[٣٨٢].

(٢) الآية رقم [١٠٣] من سورة البقرة فالسحر يؤخذ عن الشياطين فقط وقد برأ الله الملكين.

(٣) الموبقات المهلكات وسميت الكبائر موبقات لأنها تهلك فاعلها في الدنيا مما يترتب عليها من العقوبات وفي الآخرة من العذاب والشاهد هنا ذكر السحر.

باب ما جاء في الكهانة والكاهن[1]

قال الله تعالى ﴿هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾[2]

عن عمران ابن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس منا من تطير أو تُطير له أو تكهن أو تُكهن له أو سحر أو سُحر له ومن اتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم» رواه البزار وقال المندري باسناد جيد ورواه ايضا هو والطبراني من حديث ابن عباس باسناد حسن دون قوله ومن اتى إلى آخره[3] وعن جابر بن عبدالله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اتى كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما انزل على محمد» رواه البزار باسناد جيد قوي وعن ابن مسعود قال من اتى عرافا أو ساحرا أو كاهنا يؤمن بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد رواه الطبراني برواة ثقات وقد رُوي نحوه عن انس واثلة بن الأسقع عند الطبراني والكاهن هو الذي يخبر عن الغيبيات فيصيب بعضها ويخطىء اكثرها ويزعم ان الجن تخبره بذلك

---

(١) أعلم أن السحرة إذا ارادوا عمل السحر عقدوا الخيوط ونفثوا على كل عقده حتى ينعقد ما يريدونه من السحر انتهى تيسير العزيز الحميد ص [٤٠٢].
الكهان هم الذين يأخذون عن مسترقى السمع.

(٢) الآية رقم [٢٢١]، [٢٢٢] من سورة الشعراء.

(٣) ليس منا: أي ليس من اتباعنا العاملين باتباعنا المقتفين لشرعنا.
تطير بفعل الطيره أو تُطير له أي أثر من يتطير له وكذلك معنى تكهن أو تُكهن له أو سحر له أوسُحر له.

والعراف الكاهن وقيل هو الساحر وقال البغوي هو الذي يدعي معرفة الأمور باسباب يستدل بها على وقوعها كالمسروق من الذي سرقه ومعرفة الضالة ونحو ذلك.

باب الاستسقاء بالنجوم[1]

وما جاء في كفر من قال مطرنا بنؤ كذا قال الله تعالى ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾[2] بدل الشكر وقد روى عن علي وابن عباس انهما قراها وتجعلون شكركم انكم تكذبون.

وروى الإمام أحمد عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وتجعلون رزقكم يقول شكركم أنكم تكذبون يقول مطرنا بنؤ كذا أو بنجم كذا أو كذا) رواه الترمذي وابن ابي حاتم ايضا وفي الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني انه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح في عبادي مؤمن وكافر فاما

---

(١) التنجيم على ثلاثة أقسام :ـ أحدها كفر باجماع المسلمين وهو القول بأن العالم السفلى مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات وان الكواكب فاعلة مختارة وهذا قول الصابئه ولذا كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب تعظيما.

الثاني :ـ الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها واقترافها. ويقول إن ذلك بتقدير الله ومشيئته وهذا حرام.

الثالث: تعلم المنازل وهذا مباح.

(٢) الآية رقم [٨٣] من سورة الواقعة.

من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذالك كافر بي ومؤمن بالكواكب واخرجه ابوداود والنسائي .

باب التحذير من اقتباس علم النجوم لغير ما ذكر الله:

قال بعض السلف من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله إن الله جعلها زينة للسماء ورجوماً للشياطين ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر واخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير وابن ابى حاتم عن قتادة قال ان الله انما جعل النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسماء ويهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال واخطأ خطأ واضاع نصيبا وتكلف ما لا علم له به وان أناسا جهلوا بامر الله قد احدثوا في هذه النجوم كهانة .

من اعرس بنجم كذا أو كذا كان كذا وكذا ومن سافر بنجم كذا كذا كان كذا وكذا ولعمري ما من نجم الا يولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والذميم وما على النجم وهذه الدابة وهذه الطير شيء من قضا الله قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون ايان يبعثون وأخرج ابن أبي شيبة وأبوداود وابن ماجه وابن مردويه عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد) واخرج أبويعلي وابن مردويه عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد) وأخرج أبويعلي وابن مردويه . . والخطيب عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخاف على أمتي خصلتين تكذيبا بالقدر وتصديقا بالنجوم .

فصـــل

واعلم أن أصل العبادة محبة الله وإفراده بالعبادة لأنها ناشئة عن غاية الحب وغـاية الـذل وقد ذكرنا أن الحب بسببه لإنتفاع ممن يحبه من حيوان أو مال أو غيرها والنفع والرجاء النفع لا يكون إلا من الله لأنه ليس لأحد سواه ملك ذرة في السموات ولا في الأرض كما قال تعالى ﴿**قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض**﴾ ـ فمحبة غير الله للجهل بأن النفع والضر منه ولا قدرة لأحد على نفع أحد أو ضره إلا بإذن الله كما في الحديث الذي قاله صلى الله عليه وسلم لابن عباس واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك[1] الحديث فمن عرف ذلك لم يبق في قلبه حب لغير الله ولا خوف من سواه وإنما يحب من يحبه فيه لأجله وهو قسمان الأول شرعي وهو حب الأنبياء والملائكة والمؤمنين[2] وبغض اعدائهم فمحبتنا لهم محبته فإن محبة المحبوب توجب محبة ما يحبه وليس شيء يُحب لنفسه إلا الله وكل ما سواهٍ مما يُحب فإنما يُحب لغيره . والمحبوب لغيره فالنافع منه ما كان محبته تبعاً لمحبة الله القسم الثاني طبيعي وهـو قسمـان الأول حب الأولاد[3] فإن الله جبـل القلوب عليه

(١) الحديث أخرجه الترمذي في صفات القيامة والرقائق والورع رقم الحديث ٢٥١٦ وأخرجه الإمام أحمد مسنده ١ (٣٠٧).

(٢) ويسمى محبة أنس وألف وذلك كمحبة العلماء والأخوة بعضهم لبعض.

(٣) ويسمى محبة رحمة وشفقة.

لضعفهم وأودع هذا الحب في جميع الحيوانات ولا يدوم في غير الناطق ومراد الله ما يحصل به النفع مما زاد على ذلك من إيثار رضاهم على رضا الله فإنما هو لخلو القلب عن حب الله الثاني ما جبل الله القلوب عليه من حب الزوجات من النساء ويلائم طبعه كمحبة الماء والطعام للعطشان والجائع[١] فمحبة هذا القسم من الدواعي إلى مقاصد الشرع التي يحبها الله وكف البصر وتطلع إلى غير أهله فهو قربة وطاعة وقد أمتن الله على عباده لما جعل بين الزوجين من المودة فقال تعالى ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ وبشر ابراهيم عليه السلام وساره بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب وقال النبي صلى الله عليه وسلم حبب إلى من دنياكم النسـاء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة[٢] وكانت عائشة رضي الله عنها من أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكـان صلى الله عليه وسلم يحب الشراب البارد والحلوى والعسل ويحب الخيل وكان أحب الثياب إليه القميص فهذه المحبة لا تزاحم محبة الله بل تجمع القلب على التفرغ لمحبة الله وأما مازاد على ذلك من المحبة التي تُلهي عن ذكر الله وتشغل عن طاعته فتلك مذمومة من حيث إفضائها إلى ما يكرهه الله وذلك كمحبة جمع المال من حله وغير حله قال تعالى في حله ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**﴾ وقال ﴿ان

---

(١) وتسمى بالمحبة الطبيعية.

(٢) الحديث أخرجه أحمد والنسائي والحاكم في المسند والبيهقي عن أنس بسند صحيح أنظر صحيح الجامع الصغير ج (٣) ص (٨٧).

من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم﴾[١] وقال تعالى ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾[٢] وقال تعالى ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾[٣] فالمذموم من هذه المحبة ما منعت كمال محبة الله أو زاحمته أو أثرت فيه ضعفاً وربما قطعت عن ذكر الله حتى يقدم للمحب رضا محبوبه وطاعته ويذل لمحبوبه أعظم من ذله من ربه ومن ذلك محبة الانداد يحبونهم كحب الله وكمحبة الظلم والبغي والفسوق[٤] في الأرض فهذه قواطع عن الله تعالى وإذا كان العبد لا يؤمن حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين كما ثبت في الصحيحين من حديث أنس مرفوعاً فما الظن بمحبة الله وتقديمها على محبة غيره وافراده بها سبحانه وتعالى اللهم اجعل حبك إليَّ أحب من نفسي ووالدي والناس أجمعين.

فصـــل

فالذي أذن الله فيه من حب المخلوقين قدر معلوم وهو الحب الذي فيه ولأجله دعـونا على عبادته لأن أصل العبادة إفراد الله بالمحبة بأن يكون الحب كله لله والمُراد من محبة الخلق لله ها هنا ما يليق بجناب

---

(١) الآية رقم (١٤) من سورة التغابن.
(٢) الآية رقم ١٥ من سورة التغابن.
(٣) الآية رقم ٣٧ من سورة النور.
(٤) في الأصل العلو.

الله تعالى ويختص به من أنواعها ولا تصلح إلا له تعالى وهي أقصى مراتب الخضوع الذي هو حقيقة العبادة فإن المحبة متفاوتة في القدر والوصف فلله من ذلك ما يليق من أنواعها وهي اقصى مراتب المحبة الذي هو تعبد المحب لمحبوبه فلا منزلة أشرف للعبد منها فالمحبة هي حقيقة العبودية وسرها ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

فصـــل

ولما كان مراد الله من خلقه خلوص هذه المحبة أنكر على من أحب سواه كحبه فقال تعالى ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله**﴾ فأخبر سبحانه وتعالى أن من الناس من يشرك به فيتخذ من دونه ندا يحبه كما يحب الله وأخبر ان الذين آمنوا أشد حبا لله وحكى الله عن أهل الشرك قولهم لآلهتهم وهم في الحميم[1] ﴿**قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين**﴾ ومعلوم أنهم لم يسووهم به في الخلق والرزق والإحياء والإماته والقدرة فقد حكى الله إقرارهم بذلك كما ذكرنا ولكن سووهم به في العبادة التي هي أقصى مراتب الخضوع الناشيء عن عناية الحب مع غاية الذل فالعبادات كلها ناشئة عن الحب فمن كان الله أحب إليه مما سواه وجه إليه العبادة وعلم أنها لا تنبغي إلا له وصار إتباع أوامره

---

(١) فى الأصل الجحيم.

وإجتنـاب نواهيه وإن عظمت أحق من جريان النفس لأنها إتباع مراد المحبوب وقد أنكر الله على من اتخذ من دونه ولياً أو شفيعاً غاية الانكار فقال تعالى ﴿**ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون**﴾ وقال تعالى (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون﴾ فالمولاة أصلها الحب فلا موالاة إلا بحب كما أن العداوة أصلها البغض والمقصود أن حقيقة العبودية لا تحصل مع المساواة بمحبة الله لمحبة غيره بخلاف المحبة لله وفيه فإنها من لوازم العبودية فتقديم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم على النفس والأبناء لا يتم الإيمان إلاَّ بها وكذلك كل حب لله وفيه كما في الصحيح عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجد طعم الإيمان إلا من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وفي لفظ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان. الحديث.

فصـــل

وإذا كانت المحبـة لله هي حقيقـة العبودية وسرها فهي إنما تحقق بإتبـاع امـره وإجتناب نهيه فعند إتباع أمره ونهيه يتبين حقيقة العبودية والمحبـة وقـد جعل الله سبحانه إتباع رسوله شاهدا لمن ادعاها فقال تعـالى ﴿**إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ فدل أنه لا تثبت محبتهم إلا بإتبـاع الـرسول صلى الله عليه وسلم ودل على ان متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم هي حب الله وطاعة أمره ولكنه لا يكفي

ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومتى كان عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله فلا يهديه كما قال تعالى ﴿**قل ان كان اباؤكم وابناؤكم وأخواتكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهـاد في سبيله فتـربصـوا حتى يأتي الله بأمـره والله لا يهـدي القوم الفاسقين**﴾ فمن قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله أو مرضات أحد منهم على مرضات الله ورسوله أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجاءه والتوكل عليه فهو ممن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وإن قاله بلسانه فهو كذب منه فإن من أحب الله راقبه في السر والعلانية وعظم ما عظمه الله وصغر ما صغره الله فكل محبة لم يقارنها تعظيم لمحرمات الله من نفيه لامره ونهيه على أمر من سواه في دعوة كاذبة.

فصــــل

ولمـا كانت العصبية وهي إعانة الرجل قومه على غير الحق وإعانة أهل مذهبه لكونهم سلكوا تلك الطريق شاهدة على تأثير طاعة غير الله ورضاه وحبه على طاعة الله ومرضاته وحبه وداعية إلى الفرقة التي نهى الله عنها في غير آية وجاءت الأحاديث بذمها وسماها الرسول صلى الله عليه وسلم دعـوى الجاهلية ولذا جاءت الاحاديث بذم من نصر قومه على غير الحق وسماها الرسول دعوى الجاهلية لإنها عصبيه وهي إعانة الـرجل قومه أهل مذهبه على غير الحق وهذا من أعظم الشهود على

فاعلها أنه لم يذق حلاوة الإيمان فإن الإيمان حلاوة كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما الحديث[1] وقد تقدم أن المحبة التامة تحمل صاحبها على الطاعة والتعظيم.

فصــــل

واعلم أن وجود هذه الخصال يحسن قوة المحبة وضعفها فمن كان بالله اعـرف وإليه أرغب وله أحب وجد من هذه الحلاوة ما يقصر عن السنـــة التعبير ومتى تمكنت محبـــة الله من القلب ازداد عبـودية وذلاً وخضـوعاً وأخرجت منه تاله لما سوى الله وهذا المطلوب العظيم لا يوصل إليه إلا الله ولا يدل عليه غيره فإن الخروج من الظلمات إلى النور لا يكون إلا بإذن الله كما قال تعالى ﴿**لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**﴾[2] فإنه لن يعبد إلا بإعانته ولن يطاع إلا بإذنه (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾[3] فإن لم يكن مستعيناً بالله مفتقراً إليه متوكلاً عليه لم يحصل له هذا المطلوب فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون.

---

(١) الحديث رواه البخاري ج١ ٦٠ ومسلم (١) ٦٦ واتمام الحديث وان يحب الإنسان لا يحبه إلاّ لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذا انقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار انظر النهج السديد للدوسري ص١٧٨.

(٢) الآية رقم (١) من سورة إبراهيم.

(٣) الآيتان رقم (٢٨)، ٢٩) التكوير.

فصـــل

وأما محبة الله لأنبيائه وأوليائه التي هي أعظم فضل الله العظيم عليهم مرَّتبة على تقديم طاعة الله على طاعة غيره واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في قوله تعالى ﴿**ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾[1] وفي الصحيح عن أبي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى من عاد لي ولياً فقد بارزني بالحرب وما تقرب إلى عبدي بافضل من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها ولئن سألني لأعطينه ولئن دعاني لأجبته وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مسأته ولابد له منه[2] وقد نص الله على هذه المحبة في غير آية من كتابه الكريم كقوله تعالى (يحبهم ويحبونه) وكقوله ﴿**والله يحب الصابرين**﴾ ﴿**ويحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾ وأكثر من ذلك أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وفي الحديث أن الله اتخذ محمدا صلى الله عليه وسلم خليلاً كما في الصحيح أنى ابرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليلا فإن الله اتخذني خليلا كما أتخذ إبراهيم خليلاً والخلة في اللغة هي ارفع مراتب المحبة فهي نهاية المحبة ولله في صفة المحبة والرحمة والحلم وغيرها مما

---

(١) الآية رقم (٣٢) من سورة آل عمران.

(٢) وقد شرح هذا الحديث محمد ابن علي الشوكاني بكتاب سماه قطر الولي.

وصف به ذاته الكريمة على جهة المدح والحمد والثناء يليق بجلاله مع تنزيهه من نقائص المخلوقين ولا نغتر بإجماع كلمة المعتزلةوالأشعرية على تقبيح اطلاق هذه اللفظة على الله إلا بتأويل زاعمين ان اطلاقها على الله يقضي التشبيه فإن هذه الدعوى لم تقع إلا بعد ظهور البدع وحدوث صناعة الكلام مع سلامة الصدر الأول من الصحابة من ذلك ومن عرف ما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلم أن عصر النبوة والصحـابـة بريء من هذه التـأويلات في الصفات وأنهم في عهدهم مادعوا أحد إلى التأويل والتعرض لمثل هذه الأمور بل بالغوا في زجر من خاض فيها وهم أعرف الناس بمعاني كلامه وأحرصهم على درك اسراره فهم الـذين شاهدوا الوحي والتنزيل ولو علم صلى الله عليه وسلم ان الحاجة داعية إلى التأويل في صفات الله لبلغه صلى الله عليه وسلم إلى الخلق فإنه لأعرف بما يليق بجلاله منه ثم من رسله ولا يحصى ثناء عليه وقد بلغ ما أوحى إليه من صلاح العباد في معادهم ومعاشهم ولم يكتم شيئا من الوحي ولم يخص بعضا بشيء منه دون بعض فإنه لم يُبعث الا لذلك رحمة للعالمين وقد قال الله تعالى (يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) وقال تعالى ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾ فلم يكن ﷺ على الغيب بضنين فما ترك شيئا يقربهم من الله وجنته إلا دلهم عليه ولا شيئا يقربهم من سخطه وناره إلا حذرهم منه ونهاهم عنه حتى قيل لبعض أصحابه لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخـراءة قال أجل وهذه الإشارة قطرة من مطره ومجة من لجة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

فصـــل

ولما كانت الموالاة أصلها الحب والمعاداة أصلها البغض نهى الله عن اتخاذ أعدائه أولياء فقال ﴿**لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمـودة**﴾ إلى قوله ﴿**ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل**﴾ وهذه الآية في أمر حاطب وكتبه إلى قريش وفي هذه الآية دليل على تحريم ما هو من شأن الموالاة كفعل حاطب وإن لم يكن عن مودة قلب وخلوص رغبته وقد سماها الله موالاه وسمي ذلك ضلالا فقال ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل وإنما عفى الله عن حاطب لسابقته ولكونه من أهل بدر وفيها دليل على قتل من فعل كفعله فإن عمر رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ دعني أضرب عنق هذا المنافق أجاب الرسول ﷺ وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فجعل العلة كونه من أهل بدر ولو لم يكن هذا سببا شرعياً للقتل لقـال لا يحـل قتله لنفي الله الإيمان عن من واد من حاد الله ورسوله فقال: (لا تجدوا قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يؤدون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم﴾ الآية[١] وقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين[٢] أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في

---

(١) رقم ٢ من سورة المجادلة والمعنى لا توجد جماعة مؤمنة بحق يصافون ويبذلون المودة لأعداء الله ولقد حدثت كتب التاريخ أن بعضا من المؤمنين هموا بقتل اقاربهم فالصديق هم بقتل ابنه وقتل مصعب بن عمير أخاه فقتل عمر وحمزة وعليا وعبيدة ابن الحارث أقاربهم وعشيرتهم.

(٢) في الأصل الكافرون وهذا سبق القلم والصواب ما ثبتناه.

شيء﴾(١) فإنـه لو أبغض فعله الذي هو الكفر حقيقة البغض لأبغضه وعاداه فالمعاداة أصلها البغض كما ان الموالاة أصلها الحب ولذا أخبر الله أن الذين أمنوا بعضهم أولياء بعض ﴿**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**﴾(٢) وهو ضعف الإسلام وقـوة الكفـر فموالاة أعداء الله بل مجالستهم لاشك انها توجب ابراق الشخص إلى بعض طباعهم ومن خان نفسهم باضاعة أوامر الله ونواهيه فهو أولى بخيانة غيره هذا إذا كان معتقداً صحة ما عليه الغير وربما ادت محاضرتهم إلى انبساط يؤدي إلى استهزاء بأمر من أمور الدين وقد حذرنا الله من ذلك وسمى فاعله منافقاً فقال ﴿**بشر المنافين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا**﴾ ﴿**وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذن مثلهم إن الله جامـع المنـافقين والكـافـرين جميع**﴾(٣) وفي الانفال ﴿**والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا**﴾(٤) فانظر كيف نهانا عن موالاة المؤمنين في هذه الآية حتى يؤمنوا فكيف بموالاة الكفار والفساق وفي براءة ﴿**يا أيها الذين أمنوا لا تتخـذوا أباءكم وإخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتـولهم منكم فأولئـك هم الظالمون**﴾ إلى قوله ﴿**والله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾(٥) فأنظر كيف بين لنا الله سبحانه ما يشتبه على الشخص من

(١) الآية ٢٨ من سورة آل عمران.
(٢) الآية رقم ٧٣ من سورة الانفال.
(٣) الآيتان رقم ١٣٩، ١٤٠ من سورة النساء.
(٤) الآية رقم ٧٢ من سورة الأنفال.
(٥) الآية رقم ٢٣، ٢٤ من سورة التوبة.

أمر أبيه الذي يحب أكرامه شرعا وفعلا حذر الله من موالاتهم على الكفر ثم ذكر من بعده أمر الأخ وغيره وانظر إلى قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة**﴾ إلى قوله ﴿**وأنا أعلم بمـا أخفيتم وما أعلنتم**﴾[١] ثم بعدها ﴿**إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون**﴾ ثم قال ﴿**لن تنفعكم أرحـامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم**﴾[٢] فانـظر كيف منـع المودة هاهنا ولو كانت سرا وبعد ذلك عرفنا الله ان المباعدة والتبري منهم وترك الموالاة لهم وبشدة العداوة وهو الإصلاح لنـا ولهم فقـال ﴿**عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة**﴾ فجعل الله النهي عن الموالاة لأعدائه سببا لردهم إلى الحق فان معـاملتنـا لهم والموالاة لهم تبقيهم على ماهم عليه من الطغيان وهم خلاف مراد الله منا ومنهم وأما ترك موالاتهم فهو مما يوقظهم للكشف على ما هم عليه ومعـرفـة بطلان ما ارتكبـوه فيرجعون إلى الحق وإن واليناهـم أبقيناهم على طغيانهم ودخلنا معهم فيه بقدر موالاتنا لهم ومن والى عدو الله فقد تبرأ من موالاة الله بقدر ذلك ﴿**الله ولي الذين آمنوا يخـرجهم من الـظلمـات إلى النـور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات**﴾ ولما كمل إيمان اصحاب رسول

---

(١) الآية رقم (١) من سورة الممتحنة.

والآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة. كتب كتابا إلى قريش يخبرهم بغزو رسول الله ﷺ لهم لما كان له من الأولاد والذرية فاسترده النبي ﷺ ممن أرسله معهم والقصة طويلة مذكورة في كتب التفسير.

(٢) الآيات (٢) (٣) من سورة الممتحنة.

الله صلى الله عليه وسلم كان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما وكان القريب المسلم منهم يقتل قريبه الكافر في الله وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم**﴾ نزلت في شأن الستة الذين تبارزوا يوم بدر كما في الصحيح(١) وهم بنو عبد مناف والمسلمون حمزة وعلي من بنى هاشم بن عبدمناف وعبيدة بن عبد مناف والكفار عتبة وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف والوليد وقتل خالد ابا البختري وقتل أبو عبيدة اباه وقتل علي بن أبي طالب جماعة من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وما ذاك إلا أنهم آثروا حب الله على ما سواه عملا بقوله تعالي ﴿**لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم**﴾ حتى نهى الله أن يسمى المنافق سيداً ففي سنن أبي داوود والنسائى عن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يكن سيد فقد اسخطتم ربكم رواه الحاكم ولفظه قال إذا قال الرجل للمنافق يا سيد فقد أغضب ربه وهذا في القول دع عنك ما هو أدخل في المـوالاة وقد رواه أبو ذر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال الحب في الله تعالى والبغض في الله رواه أبوداود وروى أبوأمامة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال من أحب لله وأبغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء**» وادناه أن تحب على شيء من الجود وتبغض على شيء من العدل وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله قال الله تعالى ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾.

(١) الحديث موجود في صحيح البخاري انظر فتح الباريء ج٨ ص٤٤٣ و٤٤٤.

فصــــل

ولمـا كانت العصبية وهي إعـانة الرجل على قومه على غير الحق وإعانة أهل مذهبه فكونهم سلكوا تلك الطريق شاهدة على تأثير طاعة غير الله ومرضاته وحبه وداعية إلى الفرقة في الدين التي نهى الله عنها في غير آية جاءت الأحاديث بذمها وسماها الرسول دعوى الجاهلية ففي الصحيح عن جابر[١] رضي الله عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيش وقد ثاب ناس من المهاجرين حتى كثروا فكسع رجل من المهاجرين فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية قالوا يا رسول الله كسع رجل في المهاجرين رجلا من الأنصار فقال دعوها فإنها دعوى الجاهلية منتنة وهذه الغزوة هي غزوة المـريسيع والـرجلان بهاء بن سعيد الغفاري وسنان بن يزيد الجهني حليف بنى عوف من الخزرج وفيها قال عبدالله بن أبي لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وفي مسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الدعوى الجاهلية قالوا لا يا رسول الله إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر فقال لا بأس لينصرن الرجل أخاه ظالما أو مظلوما إذ كان ظالما فلينهه فإنه له نصر وان كان مظلوما فلينصره فهذان الاسمان الشريفان المهاجرين والأنصار اسمان شرعيان جاء بها

---

(١) الحديث موجود في صحيح البخارى انظر فتح البارىء للحافظ بن حجر (ج) ٨ص ٦٥٢ ومعنى كسع رجل الكسع المشهور في تفسير أنه ضرب الدبر باليد أو بالرجل والكسع عن أهل اليمين شديد انظر فتح البارىء (ج) ٨ ص٦٤٩.

الكتـاب والسنة وسماهما الله كما سمانا المسلمين من قبل الانتساب إليهـا المباح الذي للتعريف كالانتساب إلى القبائل والأمصار ولا من الانتساب المكروه فالانتساب إلى ما يقضى إلى بدعة ولما دعا كل واحد طائفتـه منتصرا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوى الجاهلية حتى قيل أن الداعي بها إنما هما غلامان لم يصدر ذلك من الجماعة فأمـر بمنـع الظالم وإعانة المظلوم ليبين لهم أن المحذور هو تعصب الرجل لطائفته على الباطل وقد روى أحمد عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعزى بعزاء الجاهلية فلعنوه بهني أبيه ولاتكنوا وروى أبو داود عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من مات على عصبية وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذى تردى وهو ينزع بذنبه وأخرج[1] أحمد عن الحرث الأشعرى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن ويأمر بني اسرائيل ان يعملوا بهن وكاد يبطىء فقال له عيسى إنك قد أمرت بخمس كلمات لن يعملوا بهن فأما أن تبلغهن وأما أن أبلغهن فقال يا أخى إنى أخشى إن سبقتنى ان أعذب أو يخسف بي قال فجمع يحيى بن زكريا بني اسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله أمرنى بخمس كلمات أن اعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن أولهن ان تعبـدوا الله ولا تشركوا به شيئا فأن مثل ذلك مثل رجل

---

(١) الحديث موجود بكامله في مسند الإمام أحمد انظر الفتح الرباني لعبدالرحمن البناء (٢٠) و (١٢٧) و(١٢٨).

اشترى عبدا من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك وان الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأمركم بالصلاة فان الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا وامركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صره من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك وان خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك وأمركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه وقوموه ليضربوا عنقه فقال لهم هل لكم أن افتدى نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه وأمركم بذكر الله كثيرا فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في أثره فاتى حصنا حصينا متحصن فيه وان العبد احصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أمركم بخمس امرني الله بهن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم قالوا يا رسول الله وإن صام وصلى وزعم انه مسلم فادعوا المسلمين باسمائهم على ما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله[١]

(١) وهذا آخر ما وجدناه من هذا الكتاب وبهذا القدر انتهى تعليقنا عليه فنسأل الله أن يوفقنا لكل خير وان يثيبنا على ذلك إنه جواد كريم وكان ذلك بتاريخ ١٣/٧/١٤١٣هـ والله الموفق.

بيان ببعض الأسماء الواردة في كتاب قوت القلوب للعلامة الحسن بن خالد الحازمي:

المسلسل	إسم الكتـاب	إسم المؤلـف
١	جامع البيان في تفسير القرآن	محمد بن جرير الطبري
٢	فتح القدير	محمد بن علي الشوكاني
٣	الإلمـــام	ابن دقيق العيد
٤	صحيح البخارى	محمد بن إسماعيل البخارى
٥	صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج القشيري
٦	سن أبى داود	سليمان بن الاشعث
٧	سنن الترمذي	محمد بن عيسى الترمذي
٨	سنن النسائي	أحمد بن شعيب النسائي
٩	سنن إبن ماجه	محمد بن يزيد القزويني
١٠	المسند	أحمد بن محمد بن حنبل
١١	الموطـأ	الإمام مالك
١٢	السنن الكبرى	أحمد بن الحسين البيهقي
١٣	المصنف	محمد بن أبي شيبة
١٤	المصنف	عبدالرزاق الصنعاني
١٥	السنن	سعيد بن منصور
١٦	الصحاح	الجوهـري
١٧	القاموس المحيط	الفيروز بادي
١٨	رسالة في التوحيد	محمد بن إسماعيل الأمير
١٩	تطهير الإعتقاد	محمد بن إسماعيل الأمير
٢٠	المستدرك	للحاكم
٢١	صحيح بن حبان	الإمام بن حبان

بيان بأسماء الكتب الواردة في كتاب التعليق المطلوب

المسلسل	إسم الكتـاب	إسم المؤلف
١	إتحاف الأنام	خليل الخطيب
٢	إقتضاء الصراط المستقيم	شيخ الإسلام ابن تيمية
٣	أضواء على الأدب والأدباء	محمد بن أحمد العقيلي
٤	اعلام السنة المنشورة	حافظ بن أحمد الحكمي
٥	الأعـــلام	خيرالدين الزركلي
٦	البدر الطالع	محمد بن علي الشوكاني
٧	بعض قصائد متفرقة	بخط المحقق
٨	تاريخ الأدب العربي	أحمد الطيب
٩	تاريخ عسير	هاشم النعمي
١٠	تحفة الأحوذي	المباركفوري
١١	تحفة الذاكرين	محمد بن علي الشوكاني
١٢	تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
١٣	تحقيق التجريد	عبدالوهاب العجيلي
١٤	تطهير الإعتقاد	محمد بن إسماعيل الأمير
١٥	تيسير العزيز الحميد	سليمان بن عبدالله آل الشيخ
١٦	تيسير الكريم الرحمن	عبدالرحمن بن ناصر السعدي
١٧	الجامع لأحكام القرآن	محمد بن أحمد القرطبي
١٨	الجامع الصغير	جلال الدين السيوطي
١٩	الجواهر اللطاف	محمد بن حيدر القبي
٢٠	حاشية الثلاثة الأصول	عبدالرحمن بن محمد بن قاسم
٢١	حدائق الزهر	الحسن بن أحمد عاكش

٢٢	حلية البشر	محمد بن بهجة البيطار
٢٣	الدر النضيد	محمد بن علي الشوكاني
٢٤	دليل الفالحين	محمد بن علان الصديق الشافعي
٢٥	الديباج الخسرواني	الحسن بن أحمد عاكش
٢٦	الرياض المستطابة	يحي العامري
٢٧	شرح كتاب التوحيد	حافظ الحكمي
٢٨	شرح القصيدة النونية	محمد خليل الهراس
٢٩	شرح النووي على مسلم	الإمام النووي
٣٠	الصحــــاح	الجوهري
٣١	صحيح البخاري	محمد بن إسماعيل البخاري
٣٢	صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج
٣٣	العـــدة	محمد بن إسماعيل الأمير
٣٤	علماء نجد خلال ستة قرون	البسام
٣٥	عون المعبود	محمد شمس الحق العظيم آبادي
٣٦	غذاء الروح	عبدالعزيز المسند
٣٧	فتح الباري	أحمد بن علي بن حجر
٣٨	الفتح الرباني	أحمد البنا
٣٩	فتح الغفار	الحسن بن أحمد عاكش
٤٠	فتح القدير	محمد بن علي الشوكاني
٤١	فتح المجيد	عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ
٤٢	الفتوحات الإلهية	سليمان الجمل
٤٣	فيض القدير	محمد عبدالرؤوف المناوي

٤٤	القاموس المحيط	الفيروز بادي
٤٥	قرة عيون الموحدين	عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ
٤٦	قطر الولي	محمد بن علي الشوكاني
٤٧	لوامع الأنوار البهية	محمد أحمد السفاريني
٤٨	مجمع الزوائد	أحمد بن علي الهيثمي
٤٩	محمد صلى الله عليه وسلم	محمد رشيد رضا
٥٠	المخلاف السليماني	محمد بن أحمد العقيلي
٥١	مدارج السالكين	ابن القيم
٥٢	معارج الألباب	مهدي النعمي
٥٣	معارج القبول	حافظ الحكمي
٥٤	معجم المؤلفين	عمر رضا كحالة
٥٥	من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي	عبدالله ابوداهش
٥٦	نبذة عن التعليم في تهامة وعسير	حجاب بن يحيى الحازمي
٥٧	نفح العود	عبدالرحمن البهكلي
٥٨	النهج السديد	الدوسري
٥٩	نور اليقين	محمد الخضري بك
٦٠	نيل الوطر	محمد بن محمد زبارة

هذه بعض المراجع التي اعتمدنا عليها في هوامش الكتاب وهناك مراجع اخرى لم نشر إليها. وهذا والله الموفق.

فهرس الموضوعات

المسلسل	الموضـــــوع	الصفحة
١	شكر وتقدير	٥
٢	المقدمـــة	٧
٣	نبذة عن حياة المؤلف	١١
	نســبـه	١١
	أســـرتـه	١٢
	نشــأته وحـيـاتـه	١٢
	أعـمـــالـه	١٥
	مؤلفـــاته	١٧
	شــعـــره	١٨
	المدائح التي قيلت فيه	٢٠
	وفاتــــه	٢٣
	التعريف بالكتاب	٢٤
٤	أنواع التوحيد	٣٠
٦	تعريف العبادة	٣٥
	أنواع العبادة	٣٦
٧	توحيد الأنبياء والمرسلين	٣٩
٨	توحيد الربوبية	٤٢
٩	الإعتراف بتوحيد الربوبية وحده لا يدخل	٤٤
	الإنسان في الإسلام	٤٤
١٠	معنى الرب والإله في اللغة	٤٥

تابع فهرس الموضوعات

المسلسل	الموضـــــوع	الصفحة
١١	وجوب العبادة لله	٤٧
١٢	معنى لا إله إلا الله	٤٨
١٣	حكم من سأل غير الله	٥٠
١٤	التلفظ بالشهادتين لا يتم بالعمل	٥١
١٥	شروط لا إله إلا الله	٥٥
	من قصد غير الله بشيء من العبادة فقد ناقض كلمة التوحيد	
١٦	سعة علم الله وإحاطته بكل شيء	٥٦
١٧	إنفراد الله بالعبادة وحده	٥٩
١٨	إنفراد الله بملك النفع والضر	٦١
١٩	حكم من دعى الناس إلى عبادة نفسه	٦٣
٢٠	حكم التصـــوير	٦٥
٢١	حكم من دعى غير الله	٦٨
٢٢	حكم من أنكر أمراً من أمور الدين الظاهرة	٧١
٢٣	حكم من سأل غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله	٧٣
٢٤	أنـــواع الكـفـــر	
٢٥	حكم من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما	٨٢
٢٦	فصل : في أن طائفة من هذه الأمة سوف تثبت على الحق	٨٩
٢٧	أنواع العبادة	٩٢
٢٨	فصل في الدعاء	٩٤
٢٩	خطر الشرك بالله ودعاء المسألة	٩٧

تابع فهرس الموضوعات

المسلسل	الموضوع	الصفحة
٣٠	اختصاص السجود والركوع لله	٩٩
٣١	فصل في تسمية الركوع سجوداً	١٠٢
٣٢	تحريم الذبح لغير الله	١٠٣
٣٣	فصل: من أنواع العبادة الطواف	١٠٧
٣٤	فصل: من أنواع العبادة القسم والتوبة	١١٢
٣٥	فصل: فالإنابة إلى الله	١١٣
٣٦	من أنواع العبادة التوكل	١١٥
٣٧	فصل: في الخوف والرجاء	١٢٠
٣٨	حكم صرف شيء من أنواع العبادات لغير الله	
٣٩	الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر	١٢٢
٤٠	فصل: في أن عبادة غير الله منشأها التعظيم	١٢٧
٤١	فصل في عبادة غير الله	١٢٩
٤٢	النهي عن الصلاة إلى القبور وإتخاذها عيداً	١٣٢
٤٣	حكم عبادة القبور	١٣٥
٤٤	النهي عن اتخاذ القبور مساجد	١٣٦
٤٥	الزيارة المشروعة للقبور	١٣٩
٤٦	فصل: الأمر بسد الذرائع الموصلة إلى الشرك	١٤٣
٤٧	مسارعة وفد خولان للإستجابة لدعوة رسول الله	١٤٧
٤٨	من اسباب عبادة القبور الجهل بحقيقة التوحيد	١٤٨
٤٩	النهي عن اتخاذ الند لله	١٥١
٥٠	النهي عن الحلف بغير الله	١٥٥

تابع فهرس الموضوعات

المسلسل	الموضـــــوع	الصفحة
٥١	كفارة الحلف بغير الله	١٥٦
٥٢	التحذير من الحلف بالأمانة	١٥٧
٥٣	حكم الطيرة والعيافة	١٥٨
٥٤	ما جاء في الرقى والتمائم	١٥٨
٥٥	باب من علق حلقة أو خيطاً لرفع البلاء أو دفعه	١٥٩
٥٦	باب ما جاء في السحر	١٦١
٥٧	حكم الكهانة والكاهن	١٦٢
٥٨	في الاستسقاء بالنجوم	١٦٣
٥٩	في التحذير من إقتباس علم النجوم	١٦٤
٦٠	فصل : في أنواع المحبة	١٦٥
٦١	النهي عن العصبية التي فيها طاعة وحب غير الله	١٧٠
٦٢	فصل : في محبة الله لأنبيائه وأوليائه	١٧٢
٦٣	النهي عن موالاة الكفار	١٧٤
٦٤	فصل في أن الـعصبية من دعوى الجاهلية	١٧٨
٦٥	فهرس الكتب الواردة في قوت القلوب	١٨١
٦٦	فهرس الكتب الواردة في التعليق المطلوب	١٨٢
٦٧	فهرس الموضوعـــــات	١٨٥

أخي الكاتب ...

أخي المؤلف ...

دار الشريف للنشر والتوزيع هدفها الأول والأخير نشر الكتاب الإسلامي.

وهي ترحب بمؤلفاتكم ومساهماتكم في مجال إحياء الكتاب الإسلامي.

فأهلا وسهلا ... بكم



دار الشريف للنشر والتوزيع

الرياض ١١٥٩٤

ص.ب : ٥٨٢٨٧

هاتف وفاكس : ٤٧٣١٤٦١

ردمك : ٩٩٦٠ - ٧٤١ - ٦٤ - ٨

مطبعة النرجس - ت: ٢٢١٦٦٥٢ ف: ٢٢١٦٨٦٦